

شرح المقاصد النبوية

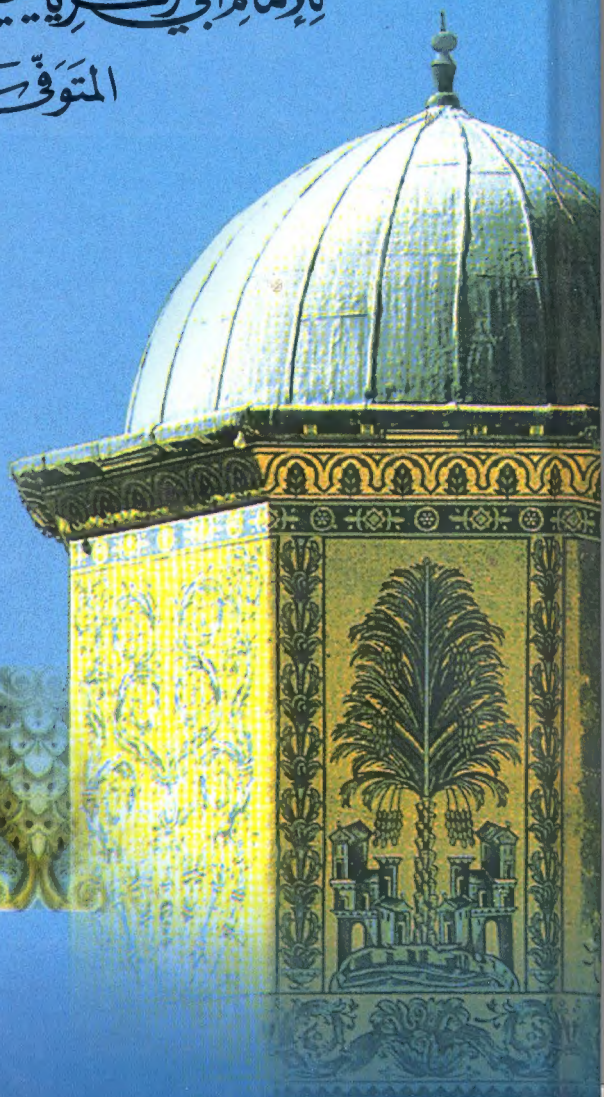
للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي

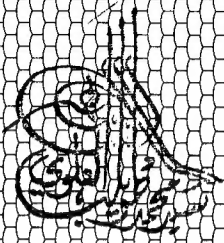
المتوفى سنة ٦٧٦ هـ

شرحها

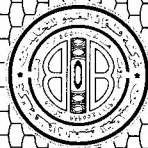
محمد الحجري

دار البشائر الإسلامية





٢٢





شرح
المقاصد النورية

مَجْلَدُ الْحَقِّ الْمَحْفُوظِ

الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسرنا الشيخ رزي رشقة رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٩٦٦١ - e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

شرح

المقاصد النورية

للإمام أبي بكرٍ يحيى بن شرف النَوَوِيِّ الدَّمَشَقِيِّ

المتوفى سنة ٦٧٦ هـ



شرحها
محمد الحجازي

دار البشائر الإسلامية





المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَا الْقُلُوبَ بِحُبِّ الْعِلْمِ، وَخِدْمَةِ الْعُلَمَاءِ .
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَشَفِيعِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ ،
وَسَيِّدِ الْأَتْقِيَاءِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَتِهِ الْبَرَّةِ الَّذِينَ نَوَّرَ اللَّهُ
بِهِمُ الْبَصَائِرَ؛ فَكَانُوا مَنَارًا لِلصُّلَحَاءِ ، وَقُدُورَةً لِلْفُضَلَاءِ .

وَبَعْدُ: فَإِنَّ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْمَعِ عَلَى عُلوِّ كَعْبِهِمْ، وَارْتِفَاعِ
قَدْرِهِمْ، إِمَامُنَا النَّوَوِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً .

وَلَقَدْ أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى لِخِدْمَةِ كُتُبِهِ الْخِدْمَةِ الرَّابِعَةِ :

- ١ — فَأُؤَوِّلِي: بُسْتَانُ الْعَارِفِينَ .
 - ٢ — وَالثَّانِيَّةُ: التَّبَيُّانُ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ .
 - ٣ — وَالثَّالِثَةُ: كِتَابُ الْفَتَاوَى .
 - ٤ — وَالرَّابِعَةُ: كِتَابُنَا هَذَا .
- فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلِي، وَيَعْفُو عَن زَلَلِي .

وكتبه

محمد الحجّار

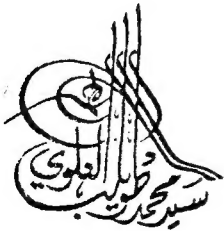
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ
النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ
وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

(وَبَعْدُ):

فَهَذِهِ مَقَاصِدُ نَافِعَةٌ، وَأَنْوَارُ لَامِعَةٌ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَهَا خَالِصَةً مِنْ أَجَلِهِ، وَأَنْ يُثَبِّتَنِي عَلَيْهَا مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ
مَنِ التَّجَأَ إِلَيْهِ، وَالْأَخِذُ بِيَدِ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ.
وَرَتَّبْتُهَا عَلَى سَبْعَةِ مَقَاصِدَ.

* * *



المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

في بيان عقائد الإسلام وأصول الأحكام

(أَوَّل) واجب على المكلف معرفة الله تعالى .

وهي :

- * ١ — : مَوْجُودٌ ليس بمعدوم .
- * ٢ — : قديمٌ ليس بحادثٍ .
- * ٣ — : باقٍ لا يطرأ عليه العدمُ .
- * ٤ — : مخالفٌ للحوادث لا شيءٌ يُماثلُهُ .
- * ٥ — : قائمٌ بنفسه لا يحتاج إلى محلٍّ ولا مُخصَّصٍ .
- * ٦ — : واحدٌ لا مُشاركَ له في ذاته ، ولا صفاته ، ولا في أفعاله .
- * ٧ — : له القُدْرَةُ .
- * ٨ — : والإِرادَةُ .
- * ٩ — : والعِلْمُ .
- * ١٠ — : والحَيَاةُ .
- * ١١ — : والسَّمْعُ .

- * ١٢ — : وَالْبَصْرُ.
- * ١٣ — : وَالْكَلَامُ.
- * ١٤ — : فَهُوَ الْقَادِرُ.
- * ١٥ — : وَالْمُرِيدُ.
- * ١٦ — : وَالْعَالِمُ.
- * ١٧ — : وَالْحَيُّ.
- * ١٨ — : وَالسَّمِيعُ.
- * ١٩ — : وَالْبَصِيرُ.
- * ٢٠ — : وَالْمُتَكَلِّمُ.

أرسل الله بفضله الرُّسُلَ، وتولَّاهم بعصمته إيَّاهم عمَّا لا يليقُ بهم، فهم معصومون من الصغائر والكبائر، قبل النُّبُوَّةِ وبعدها، مُنْزَهون عن كلِّ مُنْفَرٍ طبعًا: كالجُذَامِ، والعمى، يأكلون ويشربون وَيَنْكِحُونَ.

(وهم) أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وتفصيل في الملائكة.

(وأعلى) الْكُلِّ مَنْ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ النُّبُوَّةَ، ونسخ شرعه الشرائع نبينا محمدًا ﷺ.

* وأصحابه خيرُ القرون، وأفضلهم:

- ١ — أبو بكر.
- ٢ — ثم عمر.
- ٣ — ثم عثمان.

- ٤ — ثم عليّ، رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين^(١).
- * (ونؤمن) بجميع ما أخبرنا به عليّ لسان محمد ﷺ،
- ١ — كالملائكة،
- ٢ — والكتب السماوية،
- ٣ — والسؤال،
- ٤ — والبعث،
- ٥ — والحشر،
- ٥ — وهؤل الموقف،
- ٦ — وأخذ الصُّحُف،
- ٧ — والوزن والميزان،
- ٨ — والصراط،
- ٩ — والشفاعة،
- ١٠ — والجنة،
- ١١ — والنار،
- * وكلّ ما علّم من الدين بالضرورة، فالإيمانُ به واجبٌ، والجاحدُ به كافر^(٢).

(١) هذا الذي اتفق عليه السلف والخلف وجماهير العلماء العقلاء، ولا عبرةً بمن شدّ وانحرف، وخرق الإجماع.

(٢) هذه الأمور الغيبية عن الحسّ. ينبغي الإيمان بوجودها، وأنها ثابتة بالنقل الصحيح، والإجماع النجيب: فمن تردد في ثبوتها، أو شك في وجودها فهو على خطر عظيم من دينه. إيمانه سقيم وإسلامه غير مستقيم.

* و (أَزَكَانُ الْإِسْلَامِ) خَمْسَةُ أَشْيَاءَ :

١ — الشَّهَادَتَانِ ، وَلَا صِحَّةَ لَهُ بَدُونَهُمَا ،

٢ — وَالصَّلَاةُ ،

٣ — وَالزَّكَاةُ ،

٤ — وَالْحَجُّ ،

٥ — وَصَوْمُ رَمَضَانَ .

* و (شُرُوطُهُ) :

١ — : الْبُلُوغُ ،

٢ — : وَالْعَقْلُ إِلَّا فِي التَّبَعِيَّةِ ،

٣ — : وَبُلُوغُ الدَّعْوَةِ ،

٤ — : وَالِاخْتِيَارُ إِلَّا فِي الْحَرْبِيِّ وَالْمُرْتَدِ ،

٥ — : وَالِإِتْيَانُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَتَرْتِيبُهُمَا ، وَمَوَالَاتُهُمَا ،

وَلَفْظُ أَشْهَدَ فِيهِمَا ، وَمَعْرِفَةُ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُمَا ، وَالِإِقْرَارُ بِمَا
أَنْكَرَهُ مَعَهُمَا ، وَالتَّنْجِيزُ .

* و (حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ) :

١ — التَّصَدِيقُ بِاللَّهِ ،

٢ — وَمَلَائِكَتِهِ ،

٣ — وَكِتَابِهِ ،

٤ — وَرُسُلِهِ ،

٥ — وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،

٦ — وبالقضاء خيره وشره .

* و (أمر الدين) ثلاثة :

١ — اتباع الأوامر ،

٢ — واجتناب المناهي ،

٣ — والتسليم للقضاء والقدر .

* و (أحكام الشرع) خمسة :

١ — واجب ،

٢ — ومندوب ،

٣ — وحرام ،

٤ — ومكروه ،

٥ — ومباح .



* (فالواجب) :

ما يُثابُّ على فعله ، ويُعاقب على تركه .

* و (الندوب) :

ما يُثابُّ على فعله ، ولا يُعاقب على تركه .

* و (الحرام) :

ما يُثابُّ على تركه ، ويعاقب على فعله .

* و (المكروه) :

ما يُثابُّ على تركه ، ولا يعاقب على فعله .

* و (المباح):

ما لا يُثابُّ على فعله، ولا يُعاقب على تركه.

* و (قول):

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»
واجبٌ في العُمُرِ مرةً، والإكثارُ منه محبوبٌ.

* و (معناها): الإقرارُ لله تعالى بالوحدانية، ولسيدنا
محمد ﷺ بالرسالة.

* و (أفضلُ) العباداتِ بعدَ الإيمان: الصلاةُ.

* و (أفضلُ) الأذكارِ بعدَ القرآن: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* و (معناها): لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ.

* و (أفضلُ) الثناءِ على الله تعالى: «سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِي
ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

* و (أفضلُ) المحامدِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ
وَيُكَافِي مُزِيدَهُ».

* و (أفضلُ) صِيغِ الصَّلَاةِ على النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ»،
وَتُسَمَّى الصلاةُ الكاملةُ، والصلاةُ الإبراهيميةُ.

* و (تَجِبُ) الصلاةُ عليه — زاده الله شرفاً لديه — في
التشهد الأخير من كل صلاة، وقيل: في العمر مرةً، وقيل: كُلَّ
ما ذُكر، وقيل: في كل مجلس، وقيل: غير ذلك.

* والفَرَضُ،

* والوَاجِبُ،

* والمُتَحَتِّمُ،

* واللَّازِمُ: بمعنى.

* ثم إنَّه ينقسم إلى فرضٍ عَيْنٍ، وإلى فرضٍ كَفَايَةٍ.

* (فَأَمَّا فَرَضُ الْعَيْنِ):

فهو اللَّازِمُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَعِينِهِ، وإذا قام به البعضُ

لا يسقط عن الباقي: كالصلاة، والزكاة، والصوم.

* (وَأَمَّا فَرَضُ الْكَفَايَةِ):

فهو الذي إذا قام به البعض، سقط عن الباقي: وذلك كَرَدِّ

السلام، وصلاة الجنازة، وحِفْظِ الْقُرْآنِ عن ظَهْرِ قَلْبٍ، والأمرِ

بالمعروف، والنَّهْيِ عن المنكر بشرطه، والقيام بِالْحِرَافِ النافعة

المحتاج إليها.

* وَالسُّنَّةُ،

* وَالْمَنْدُوبُ،

* وَالْمُسْتَحَبُّ،

* وَالْفَضِيلَةُ،

* والمُرَغَّبُ فيه : بمعنى .

* (وذلك) عبارة عن أقواله ﷺ وأفعاله — إلا ما خُصَّ به — وما أقرَّ عليه ورضي به ، وما همَّ به ولم يفعله : كصوم يوم تاسوعاء .

* و (أصول الدين) أَرْبَعَةٌ :

١ — الكتابُ ،

٢ — والسُنَّةُ ،

٣ — والإجماعُ ،

٤ — والقياسُ ، المعتبران .

وما خالف هذه الأربعة ، فهو بدعة ، ومرتكبه مُبْتَدِع : يتعين اجتنابه وزجره .

(ومن المطلوب) :

* اعتقادُ من عِلِمَ وعَمِلَ ، ولازمَ أدبَ الشريعةِ ، وصحِبَ الصالحينَ .

(وأما مَنْ كان)

* مسلوبًا عقله ، أو مغلوبًا عليه : وذلك كالمجاذيب ، فَنُسِّلَمَ لهم ، — أي : حالهم — ونُفَوِّضَ إلى الله شأنهم ، مع وجوب إنكار ما يقع منهم مُخَالِفًا لظاهر الأمرِ . حِفْظًا لقوانين الشرع .

الشَّرْحُ

اعلم - يا أخي - أن الدين ثلاثة:

١ - إسلامٌ.

٢ - وإيمانٌ.

٣ - وإحسانٌ.

فالإسلام:

* هو: الانقياد لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام: بأن لا يُظهر ما يدل على فقد قبوله: كسجود لصنم، وامتناع عن الشهاداتتين.

والإيمان:

* هو: التصديق الجازم، بما عُلِمَ - ضرورة - مجيء الرسول ﷺ به من عند الله تعالى،

سواء في ذلك: الإلهيات - والنبويات - والسمعيات.

فالإلهيات:

* ما تعلق بالله تعالى:

١ - من الواجب،

٢ - والجائز،

٣ - والمستحيل.

والسمعيات:

* ما أخبر به عليه الصلاة والسلام - وهو الصادق المصدوق - عن الله عز وجل.



س : هل هناك حدٌّ لهذه الأمور؟

ج : الواجبُ :

* ما لا يقبلُ الانتفاءَ أبدًا .

* مثاله التقريبي : كونُ الجسمِ يملأُ مقدارًا من الفراغِ ، فإنَّ هذا

واجبٌ لكل جسم .

والجائزُ :

* ما يقبلُ الانتفاءَ في وقت ، والثبوتَ في وقت آخر .

* مثاله : كون هذا الجسمِ متحرِّكًا في وقت ، وساكنًا في آخر .

والمستحيلُ :

* ما لا يقبلُ الثبوت .

* مثاله : كونُ الجسمِ متحرِّكًا ساكنًا في وقت واحد ، فهذا مستحيل .

والإحسان :

* أوله : مراعاةُ الأدبِ في العبادة على اختلاف أنواعِها وتباينِ

حدودِها .

* وآخره : أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه : بأن تضمحلَّ عنك الشهواتُ

المادية ، وتغنَّى عن المرادات ، حتى تصيرَ عبدًا صِرْفًا لله تعالى : لا هوى

لك ، ولا إرادة .

* هذا هو حدُّ الإحسان ، وهو مقام عظيم : لا يتسنى لأَيِّ كان .

فكاهةٌ طريفةٌ :

* حُكيَ عن بعض الدهرية ، أنه سأل الشافعيَّ — رضي الله تعالى

عنه — :

ما الدليل يا تُرى على وجود الصانع؟ فأجابه في الحال: «ورقة
الفرصاد»، أي: ورقة شجر التوت. ثم شرع يُفصل له ويشرح:
* فهذه الورقة – التي هي من صنْع الله – طعمُها واحدٌ، ولونها واحدٌ،
وريحُها واحدٌ، وطبعها عندكم واحدٌ؟ فهذا أمر متفق عليه.
قالوا: نعم.

قال الإمام الشافعي:
* هذه الورقة تأكلُها دودة القَزِّ، فيخرج منها الإبريسمُ، أي:
الحريزُ الطبيعي البلدي الأصلي.
* ويأكلها النحلُ، فيخرج منها العسلُ الذي فيه شفاءٌ للناس.
* وتأكلها الشاةُ، فيخرج منها اللبن والبر.
* وتأكلها الطيبةُ، فينعقد في نوافجها المسك^(١)، فمن ذا الذي
جعلها كذلك مع أن الطبع واحدٌ؟
فاستحسنوا هذا الاستنباطَ، ووقفوا مبهورين، وكان سببَ إيمانهم.

والوجود:
* هو عبارة عن الذات، وهو: واجبٌ لله تعالى، لا يُصدَّقُ العقلُ
الصحيحُ بعدمه.

ودليلُ وجودِ:
* خَلَقَ السمواتِ وما فيها: من الكواكب السيارة، والملائكة الكرام.
* وَخَلَقَ الأرضَ وما عليها: من الجبالِ والرمالِ، والأشجارِ،
والأنهارِ، والبحارِ، والإنسانِ، والحيوانِ.

(١) النوافج: وعاء المسك.

قال الله تعالى:

* ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١).

* ومن المعلوم الطبيعي ببداهة العقل، وصحة النقل، أن الخالق وهو الموجود، لا يُصدَّقُ العقلُ السليمُ بعدمه؛ بل يوجب وجوده.

* فالإسلام والإيمان: متغايران بحسب المفهوم.

* وأما بحسب المحل أي: الشخص المتصف بهما فهما متّحدان من حيث المنطوق.

* فكل شخص اتصف بالإيمان، فهو متصفٌ بالإسلام.

كما يدل على ذلك قوله تعالى:

* ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا عِزِّ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣).

* وهذا إنما هو في الإسلام والإيمان الكاملين المُنجَّينِ شرعاً.

* وأما الإيمان والإسلام غيرُ الكاملين، فهما مختلفان محلاً أيضاً.

فينفرد كلُّ منهما عن الآخر كما يدل على ذلك قواء تعالى:

* ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣).

* والإحسان: هو نهاية الإيمان.

وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١) من سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٢) من سورة الذاريات: الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٣) من سورة الحجرات: الآية ١٤.

* وشروطه : المتابعةُ .

* وأركانه : المجاهدةُ .

* وفروعه : الصبرُ على الطاعة ، والتسليمُ لربِّ العالمين : ربِّ الأرض والسمواتِ .

* وثمرته : محبةُ الله تعالى ، ومحبةُ رسوله عليه أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسلام ومحبةُ آله ، وصحبه الكرام ، ومحبةُ خلق الله أجمعين .
* والإيمان لغةً : مطلقُ التصديق .

ومنه قوله تعالى :

* ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (١٧) .

* والإيمان شرعاً : هو التصديق بما جاء من عِنْدِ الله تعالى .

* والتصديق :

هو حديثُ النفس ، وإذعانُها التابعُ للمعرفة ، أو التابعُ للاعتقاد .
* والراجع : أن الإقرارَ به شرطٌ لإجراء الأحكامِ الدنيويةِ فقط ، وليس شرطاً منه .

* وأصول الإيمان سبعة :

* ١ - : الإيمان بالله تعالى .

* ٢ - : وملائكته .

* ٣ - : وكتبه .

* ٤ - : ورُسُله .

* ٥ - : واليومِ الآخرِ .

(١) من سورة يوسف : الآية ١٧ .

* ٦ ، ٧ - : والقضاء والقدر خيرٌ وشرُّه من الله تعالى .
* ويجب النطق بهذا مع التصديق والإذعان .

الإيمان بالله تعالى :

الوجود :

* فأما الوجودُ : فهو ثبوتُ الشيء ، وتحقيقه بحيثُ يصحُّ أن يُرى .
والوجودُ : واجبٌ لله تعالى لذاته أزلاً وأبداً ، وأنه سبحانه ليس
بجوهر ولا عَرَض^(١) .

* وأنه ليس بجهة^(٢) ، ولا مستقراً على مكانٍ ،

١ - وأنه واحدٌ في ذاته ،

٢ - واحدٌ في أفعاله ،

٣ - وواحدٌ في صفاته .

* فليس يخفى على مَنْ معه أَذْنَى مَسَكَةٍ مِنْ عَقْلِ إِذَا تَأَمَّلَ ، وأدار
نظرَه في عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ تعالى :

* في الأرض وفي السماء ، وبدائع فطرة الحيوان ، والنبات ، مع
أمرها العجيب ، وترتيبها المُحَكَّم السديد :

لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يُحَكِّمُه ويُقَدِّرُه ،

(١) الجوهر : هو الذي يقوم بنفسه .

والعرض : هو الذي يقوم بغيره .

(٢) ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء لأنها قبله له ، وتعظيماً لله تعالى وهذه مسألة
خلافية بين العلماء ، والأفضل الوقوف وعدم الخوض فيها .

قال الله تعالى:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١).

والدليل على وجوب وجوده تعالى، واستحالة العدم عليه عقلاً:

* وجود هذه المخلوقات: وذلك أنك إذا نظرت إلى هذا العالم تراه متغيراً من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، ومن حركة إلى سكون، ومن سكون إلى حركة:

* متنوعاً بأنواع مختلفة، وضروب متباينة، وكل ذلك يدل على أن هذا العالم حادث، والحادث لا بد له من محدث.

فلو لم يجب له الوجود، لما وجد شيء من هذا العالم، إذ لا يتصور العقل وجود شيء حادث بدون صانع ومحدث^(٢).

القدم:

* وأما القدم الواجب له تعالى: معناه عدم افتتاح الوجود أي: ليس لوجود ذاته تعالى، وليس لوجود صفاته افتتاح.

* وضده الحدوث أي: افتتاح الوجود.

* والدليل على قدمه تعالى عقلاً: أنه لو لم يكن قديماً، لكان حادثاً، فلا بد له من محدث، وهذا باطل عقلاً.

* فالله — سبحانه وتعالى — قديم لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول؛ بل هو أول كل شيء، وقبل كل ميتٍ وحَيٍّ، وذلك هو المطلوب الذي سمّيناه صانع العالم، ومُبدئه، ومُحدثه، ومُبدعه، ومُوجدَه.

(١) من سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٢) عد إلى المناظرة الطريفة بين الشافعي وبعض الدهريين في ص ١٨ — ١٩.



ودليل ذلك نقلاً تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾^(٢).

البقاء:

* وأما البقاء: فمعناه عدم اختتام الوجود أي إنه ليس لوجود ذاته، ولا لوجود صفاته، اختتام وانتهاء.

* وضده: الفناء أي: اختتام الوجود.

فيجب أن نعلم بأنه تعالى مع كونه أبدياً، أزلياً، ليس لوجوده آخر.

* فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، هو الأول لا ابتداء له، والآخر لا انتهاء له.

لأن ما ثبت قدمه، استحال عدمه؛ ولأن ملازم الحادث حادث.

وقد ثبت أنه قديم نقلاً في قوله تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٣).

وقوله تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤).

(١) من سورة الحديد: الآية ٣.

(٢) من سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٣) من سورة الحديد: الآية ٣.

(٤) من سورة القصص: الآية ١٨.

مخالفته للحوادث:

فمعناها: أنه تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث في الحدوث

ولوازمه:

١ - في ذاته،

٢ - ولا في صفاته،

٣ - ولا في أفعاله.

فليس جسمًا كالأجسام، وليس قائمًا بجسم، وليس فوق شيء ولا تحته، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، وليس بذي أجزاء، ولا غير ذلك مما هو من سمات الحدوث.

وليس علمه مكتسبًا عن دليل، أو ناشئًا عن ضرورة، ولا يطرأ عليه سهو، أو غفلة، أو جهل كعلمنا.

* وليست قدرته محتاجة إلى آلة، أو معاونة.

* وليست حياته بروح كحياتنا.

* والدليل عليه عقلاً:

١ - أنه لو مائل شيئاً من الحوادث في ذاته،

٢ - أو في صفاته،

٣ - أو في أفعاله لكان حادثاً مثله وهو باطل.

* ودليله نقلاً قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف

ذلك.

(١) من سورة الشورى: الآية ١١.

والدليل على ثبوت هذه الصفات الثلاثة له — سبحانه — أنه لو كان له ابتداء أو انتهاء، أو كان يُشبه مخلوقاته، لكان حادثاً، فلا يقدر على خلقها، فلا يُوجد شيء من العالم، وقد وجد بالمشاهدة والعيان.

قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ :

فمعناه: أنه لا يفتقر إلى محل، أي: ذات يقوم بها، ولا هناك مُرَجِّحٌ يُرَجِّحُ وجوده على عدمه^(١).

وضدّه: احتياجه إلى ذات، أو مرجح، لأنه تعالى لو احتاج إلى محل لكان صفةً، والصفة لا تتصف بالصفات.

ولو كان محتاجاً إلى مرجح، لكان حادثاً وهو باطل بدليل قدمه تعالى.

وأما النقل: قوله تعالى:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)،

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣).

وكما أنه تعالى غنيٌّ عن العالمين، فهو غني عن المحل، وعن جميع وجوه الانتفاع: فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

وإنما أمرنا ونهانا لما يعود علينا من النفع، أو الضرر، على أنه هو الغني عن أن يصل إليه النفع.

(١) ومعناه: أنه موجود بلا مُوجد، والدليل على ذلك: أنه لو احتاج في وجوده إلى شيء لكان حادثاً، وهو مستحيل.

(٢) من سورة العنكبوت: الآية ٦.

(٣) من سورة فاطر: الآية ١٥.

* وشواهد ذلك : قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (١).

* وقال الله تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (٢).

* وقال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ ﴾ (٣).

الوحدانية :

العلم بأنه تعالى واحد لا شريك له ، فرد لا ند له ، انفرد بالخلق والإيجاد ، واستبدَّ بالإبداع والاختراع .

* لا مثَّلَ له يُساهمه ويساويه ، ولا ضِدَّ له يُنازعه ويناويه .

* ودليله قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ كُزَّةٌ وَلِلَّهِ وَجْدٌ ﴾ (٤) .

* وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٥) .

* وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ

كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٦) .

وقد أجمعت الرسل ، والكتبُ الإلهية جميعًا على وجوب الوحدانية

لله تعالى .

(١) من سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٢) من سورة الإسراء : الآية ٧ .

(٣) من سورة العنكبوت : الآية ٦ .

(٤) من سورة البقرة : الآية ١٦٣ .

(٥) من سورة الأنبياء : الآية ٢٢ .

(٦) من سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

وهي ثلاثة أقسام:

* ١ — وحدانية في الذات، بمعنى أن ذاته تعالى ليست مركبة من جزأين فأكثر، وليس له نظير في ذاته.

* ٢ — ووحدانية في الصفات: بمعنى أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد، وليس لغيره صفات كصفاته تعالى.

* ٣ — وواحد في الأفعال: بمعنى أنه هو الخالق بالاختيار لكل ممكن يبرز إلى الوجود: ذاتاً كان، أو صفة، أو فعلاً: فلا يُشاركه في ذلك شيء ما.

* فالشمس، والقمر، والكواكب، والماء، والتراب، والهواء، والنار: لا تأثير لهما في شيء مما قارنها إلا بتأثير الله تعالى.

* ودليل وجوب الوحدانية — أيضاً — أنه لو لم يكن واحداً، لأشبه خلقه فكان حادثاً، ولأنه يلزم على تعدد الآلهة الفساد، وهذا أمر بديهي يُدرك بالبدهة.

فجُمْلَةُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الصِّفَاتِ سِتٌّ:

* الأولى: نفسية وهي الوجود.

* والخمسة: بعدها سلبية، لأنها دلّت على سلب أمورٍ لا تليق بالباري تعالى:

* ١ — فالقِدْمُ: معناه سلبُ الحدوثِ.

* ٢ — والبقاء: معناه سلبُ الفناء.

* ٣ — والمخالفة للحوادث: معناه سلبُ المماثلة للحوادث.

* ٤ — والقيام بنفسه: معناه سلبُ الافتقار إلى المحل والفاعل.

* ٥ — والرحمانية: معناه سلب التعدد:

١ — في الذات،

٢ — والصفات،

٣ — والأفعال.

فقد اتضح أمامك معنى السلبية.

القدرة:

* هي: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كُلِّ

ممكّن وإعدامه على وفق الإرادة:

سواءً كان ذلك الممكن كُلياً، أو جزئياً، جسمًا، أو عَرَضًا^(١).

فإنَّ من ثبت علمه وقدرته، ثبت بالضرورة حياته. ولو تصوّر قادرٌ، وعالم، فاعل، مدبر دون أن يكون حيًّا، لجاز أن يُشكَّ في حياة الحيوانات عند تردها في الحركات والسكنات، وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات.

والدليل على وجوب اتصافه تعالى بالقدرة، وعلى أنها تتعلق بجميع الممكنات عقلاً، أن هذا العالم كلّ حادث:

أي: مسبوق بالعدم، وكلُّ حادث لا بدَّ له من محدث، ولا بدَّ للمحدث الصانع من قدرة يتأتى بها إيجادُه وإعدامه.

ونقلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)،

(١) الجسم: هو القائم بنفسه. والعَرَضُ: هو القائم بغيره كما تقدم معنا قريبًا.

(٢) من سورة البقرة: الآية ٢٠.

وقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَكُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (١).

الإرادة:

* العلمُ بكونه مريدًا لأفعاله، فلا مَوْجُودَ إِلَّا وهو مستندٌ إلى مشيئته، وصادرٌ عن إرادته تعالى.

* فهو المبدئُ المعيد، والفُعَالُ لما يريد، وكيف لا يكون مريدًا، وكلُّ فعلٍ صدر منه، أمكن أن يصدر منه ضده.

* والقدرة: تناسبُ الضدينِ والوقتَيْنِ مناسبةً واحدةً، فلا بدَّ من إرادة صارفةٍ للقدرة إلى أحدِ المقدورين.

وهي: صفةٌ وجوديةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى: يَتَأَتَّى بها تخصيصُ الممكن ببعض ما يجوز عليه دونَ بعض من الممكنات المتقابلات على وَفْقِ علمه تعالى.

والمتقابلات ستة، وهي:

- * ١ - الوجود.
- * ٢ - والمقادير.
- * ٣ - والصفات.
- * ٤ - والأزمنة.
- * ٥ - والأمكنة.
- * ٦ - والجهات.

(١) من سورة فاطر: الآية ٤٤.

والدليل على وجوب اتصافه تعالى بالإرادة، وأنها عامة التعلق بجميع الممكنات . . .

أنه لو لم يكن مريدًا لكان مُكْرَهًا، والكراهة نقص في حقه تعالى، والإرادة كمال له.

ونقلًا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).
ولا فرق بين المشيئة والإرادة.

المتقابلات:

- * ١ — الوجود: يقابله العدم.
- * ٢ — والقدادير: كونه طويلًا، يقابله كونه قصيرًا.
- * ٣ — والصفات: كونه أبيض يقابل كونه أسود.
- * ٤ — والأزمنة: فبعض الأزمنة يقابل بعض، فكونه في زمن الطوفان، يقابله، في كونه في زمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.
- * ٥ — والامكنة: فكون الأمكنة يقابل بعضًا، فكونه في المدينة، يقابله كونه في مكة مثلاً، وهكذا.
- * ٦ — والجهات: فكونه في الشرق يقابله في الغرب.
- القدرة: للإيجاد والإعدام.
- والإرادة: لتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها.
- وهما يتعلقان بالممكن، وهو ما استوى وجوده وعدمه.

(١) من سورة يونس: الآية ٩٩.

(٢) من سورة النحل: الآية ٤٠.

العلم:

* وأما العلمُ: فهو صفةٌ وجوديةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى، تتعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو به دون سبق خفاء. والمراد بالشيء:

١ - ما يشمل الواجبات،

٢ - والمُستحيلات،

٣ - والجائزات: كلياتها وجزئياتها، إجمالاً وتفصيلاً^(١).

فيعلم تعالى بعلمه القديم ذاته، وصفاته...

والعلمُ بأنه تعالى سميعٌ بصيرٌ، لا يعزُب عن رؤيته، هو اجسُ الضمير، وخفايا الوهم والتفكير.

ولا يشذ عن سمعه صوتُ دبيبِ النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

واعلم أن العلم عامُّ التعلق لجميع المعلومات، وليس مختصاً ببعض دون بعض، وإلا لزم الجهل والترجيح بلا مرجح، وكلاهما باطلٌ.

وشواهدُ وجوب اتصافه تعالى بالعلم من الكتاب والسنة لا تحصى.

* كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾^(٢).

* وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣).

(١) من هنا ضلَّ الفلاسفة وكفروا، حيث قالوا: إن الله يعلم الكليات ولا يعلم

الجزئيات؛ بل تخفى عليه، هذا جهلٌ واضح، وكفر فاضح، عد إلى قوله

تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ؟﴾

(٢) من سورة التوبة: الآية ١١٥.

(٣) من سورة تبارك: الآية ١٤.

* وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١).

أو تقول:

* العلم: هو صفة أزلية تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ما هي عليه.

الحياة:

* وأما الحياة الواجبة له تعالى فهي: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى، تصحح لمن قامت به أن يتصف بالقدرة والإرادة والعلم، والسمع، والبصر، والكلام.

وهي: لا تتعلق بشيء، وضدّها الموت.

والدليل عليها عقلاً: أن الحياة صفة كمال، والموت صفة نقص. وهو — سبحانه — منزّه عن جميع النقائص وواجب له الكمال، فلزم اتصافه تعالى بالحياة.

ونقلاً: قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (٣).

أو هي: صفة وجودية أزلية، توجب صحّة الاعتراف بالعلم والإرادة.

(١) من سورة التغابن: الآية ٤.

(٢) من سورة غافر: الآية ٦٥.

(٣) من سورة الفرقان: الآية ٥٨.

السمع :

وأما السمع : فهو صفةٌ وجوديةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى :
تتعلق بكلِّ موجودٍ على ما هو به على وجه الإحاطة ، تعلقًا يُغيّرُ
تعلُّقَ العلم والبصر :
فليس تعلقُهُ بالموجودات ، هو عينُ تعلُّقِ العلمِ بها ، كما هو معلوم
فيما نشاهده من الخلق ضرورةً .

- * وكيف لا يكون سميعًا ، والسمعُ كمالٌ لا محاةٌ وليس بنقص ؟
- * فكيف يكون المخلوقُ أكملَ من الخالق ، والمصنوعُ أتمَّ من الصانع ؟
- ودليل سمعه نقلاً : قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .
- وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٢) .
- وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ (٣) .

السمع والبصر :

* هما صفتان وجوديتان أزليتان تنكشف بكلِّ منهما الموجوداتُ
والمعدومات على ما هي عليه ، لا يَغْزُبُ عن رؤيته هواجسُ الضمير ،
وخفايا التفكير ، ولا يشذ عن سمعه ، صوتُ ديبِ النملة السوداء في الليلة
الظلماء ، على الصخرة الصماء .

وأما البصر :

* فهو صفةٌ وجوديةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى ، تتعلق بكلِّ

(١) من سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) من سورة طه : الآية ٤٦ .

(٣) من سورة مريم : الآية ٤٢ .

موجود على ما هو به تعلقاً غير تعلق العلم والسمع .

فهو يُبصر جميع الموجودات : قديمة كانت أو حادثة ، ذوات أو صفات ، وضدّه العمى .

فالبصر : صفة كمال الله تعالى كما تقدم معنا في السمع .

* فكيف يكون المخلوق — الذي تحلّى بالبصر وتجمّل به — أكمل من الخالق؟؟

* وكيف تعادل القسمة مهما وقع النقص في جهته ، والكمال في خلقه وصنعه؟؟

أو كيف تستقيم حجة إبراهيم عليه السلام على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وغيّاً .

فقال له : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (١) .

* وقد انعقد الإجماع ، على وجوب اتّصافه تعالى بالسمع والبصر .

* وروى البخاري في صحيحه :

* «أَرْبِعُوا^(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، وَإِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» .

الكلام :

الكلام : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، تتعلق :

١ — بالواجبات ،

(١) من سورة مريم : الآية ٤٢ .

(٢) أي : أرفقوا بها .

٢ - والجائزات،

٣ - والمستحيلات، تَعَلَّقَ دَلَالَةٍ.

لا يُشَبِّهُ كَلَامُهُ كَلَامَ غَيْرِهِ، كَمَا لَا يُشَبِّهُهُ وَجُودُهُ وَجُودَ غَيْرِهِ.

* والكلام بالحقيقة: كلامُ النفسِ، وإنَّما الأصواتُ قُطِّعَتْ حُرُوفًا للدلالات.

* وكيف التبس هذا على طائفةٍ من الأغبياء، ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال بعضهم:

* إِنَّ الْكَلَامَ لَنَفْسِ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

* وضده: البكمُ، والبكمُ: نقصُ مُشَوِّهٍ للمخلوق، فيستحيل عليه تعالى مِنْ أَنْ يَتَصَفَّ بِهِ، فلزم اتصافه بالكلام الذي هو صفة كمالٍ. ودليله نقلاً قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١).

* وقد تواتر النقلُ عن الأنبياء والمرسلين صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين:

وقد انعقد إجماعُهم، وإجماعُ المسلمين جميعُهم على أنه تعالى متكلمٌ.

أما كونه تعالى:

* ١ - : قَادِرًا.

* ٢ - : مَرِيدًا.

* ٣ - : عَالِمًا.

* ٤ - : حَيًّا.

(١) من سورة النساء: الآية ١٦٤.

* ٥ - : سَمِيعًا.

* ٦ - : بَصِيرًا.

* ٧ - : مُتَكَلِّمًا.

هذه الصفاتُ: صفاتٌ معنويةٌ أي: منسوبةٌ إلى المعاني من حيثُ
كونُ الاتِّصافِ بها، فرُعُ الاتِّصافِ بالمعاني في العقل لا في نفس الأمر،
فإنَّ اتِّصافَ الذاتِ بكونه عالمًا مثلاً، لا يصحُّ إلَّا إذا قام به العلمُ
وهكذا...

والصفةُ المعنويةُ: هي كُلُّ صفةٍ ثبوتيةٍ، اعتباريةٍ، لازمةٍ، للمعنى.

١ - وأما القدرةُ.

٢ - والإرادةُ.

٣ - والعلم.

٤ - والحياة.

٥ - والسمع.

٦ - والبصر.

٧ - والكلام:

تُسمى هذه الصفاتُ صفاتٍ معانٍ، لأنها موجودة في نفسها، بحيث
لو أزيل عنا الحجابُ لرأيناها.

وأما صفة المعنى:

* هي كل صفةٍ موجودةٍ في نفسها.

وأما الجائزُ في حَقِّه تعالى:

* ففَعْلُ كُلِّ مُمَكِّنٍ أو تركُّه:

١ - كخلق الذوات.



٢ — والصفات .

٣ — والأفعال : الاضطرارية والاختيارية .

٤ — والرزق .

٥ — والإحياء .

٦ — والإماتة .

٧ — والهداية .

٨ — والإضلال .

٩ — والعقاب .

١٠ — والإثابة ، وغير ذلك .

* فالعقاب :

بمحض عَدْلِهِ ، فَالْكَ سَبْحَانَهُ : لَا يَظْلَم أَحَدًا ، وَلَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

* والإثابة :

بمحض فَضْلِهِ تَعَالَى .

* فَإِنْ يُثَبِّبُ فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ وَإِنْ يُعَذِّبُ فَبِمَحْضِ الْعَدْلِ

* ١ — وَلَكِنْ تَرْتِيبُ الْإِثَابَةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ .

* ٢ — وَتَرْتِيبُ الْعِقَابِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالْعَصْيَانِ لَهُ .

وَلَوْ عَكْسَ ذَلِكَ لَكَانَ صَوَابًا وَحَسَنًا مِنْ تَعَالَى .

فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ ، وَلَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ

مِنْهَا .

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ :

* ١ — أَنَّهُ لَوْ وَجِبَ عَلَيْهِ تَعَالَى فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ لَصَارَ

الْمُمْكِنَ وَاجِبًا . . .

* ٢ - ولو استحال عليه شيء منها لصار الممكن مستحيلاً، وهذا باطل لا يخفى^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٢).

تنبيه:

* إعلم أن فعل العبد، وإن كان كسباً للعبد فيما يظهر، فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه...

* فلا يجري في الملك ولا الملكوت، طرفة عين، ولا لفظة خاطر، ولا لفظة ناظر، إلا بقضاء الله وقدرته، وإرادته ومشئته.
* ومنه:

- ١ - الشر، والخير.
- ٢ - والنفع، والضر.
- ٣ - والإسلام، والكفر.
- ٤ - والعرفان، والنكران.
- ٥ - والفوز، والخسران.
- ٦ - والغواية، والرشد.
- ٧ - والطاعة، والعصيان.
- ٨ - والشرك، والإيمان.

(١) انظر «الصحوة القرية»، الجزء الأول، الطبعة الخامسة ص ٢٦٣، تحت عنوان «الاعتقاد باليوم الآخر يبعث في الإنسان العمل» فله علاقة في موضوعنا هذا من حيث التوحيد.

(٢) من سورة القصص: الآية ٦٨.

لا رادَّ لقضائه ، ولا مُعَقَّبَ لحكمه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

* قال الله تعالى : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣) . (١)

* قال الله تعالى : ﴿ أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

* قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ (٣) .

ويدل عليه من جهة العقل ، أن المعاصي ، والجرائم ، إن الله تعالى يكرهها ، ولا يريدُها .

* وإنما هي جاريةٌ على وفق إرادة العدوِّ إبليس - لعنه الله - مع أنه عدوُّ الله ، والجاري على وفق إرادة العدوِّ ، أكثرُ من الجاري على وفق إرادته تعالى .

ثم مهما ظهر أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى صحَّ أنها مُرادَةٌ له تعالى .

* س : فإن قيل : كيف ينهى عما يُريد ، ويأمرُ بما لا يُريد ؟

* ج : الأمرُ غيرُ الإرادة .

* ولذلك إذا ضرب السيدُ عبده ، فعاتبه السلطانُ عليه ، فاعتذر بتمرد عبده عليه ، فكذَّبه السلطانُ .

* فأراد السيدُ إظهارَ حُجَّتِهِ ، بأن يأمرَ العبدَ بفعلٍ ، ويخالفه بين يديه .

* فقال له : أسرج هذه الدابةَ بمشهد من السلطان ، فهو يأمره لإقامة الحجة عليه بما لا يريد امتثالَه :

(١) من سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) من سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٣) من سورة السجدة : الآية ١٣ .

ولو لم يكن أمرًا لما كان عُذْرُهُ عند السلطان مُمَهِّدًا، ولو كان مريدًا لامْتِثَالٍ، لكان مريدًا لهلاك نفسه وهو محال^(١).

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ^(٢):

* الإيمان مركبٌ من جزأين:

* ١ - أحدهما: الإيمان بالله تعالى، وقد ذكرنا موجزًا عن ذلك بما يُناسب هذا الكتاب.

* ٢ - الثاني: الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، فهو واجبٌ على كل مكلف، بأن يؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله تعالى، أرسل الرسلَ لهداية الأمم إلى طريق التوحيد.
حدُّ الرسول:

* فالرسول: هو إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، بعثه الله تعالى إلى عباده، ليبلغهم عن الله أحكامه التكليفية الوضعية.

* والنبِيُّ: هو إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ يعمل به لنفسه، سواء أُمِرَ بتبليغه أو لم يُؤمر، فكل رسول نبي ولا عكس.
* وأنَّ رسالةَ الرسل: لطفٌ ورحمةٌ من الله تعالى، يخص بها من يشاء من عباده.

* وليست النبوة مكتسبةً: برياضات، وطاعات، أو مجاهداتٍ للنفس ولا غير ذلك؛ بل هي فضلٌ وهبةٌ، تتضمن حكمًا ومصالح.

(١) انظر: «الإحياء» للإمام الغزالي، قسم العقيدة تفسيمًا جيدًا، وشرحها شرحًا حسنًا.
(٢) انظر كتابنا «من قصص التنزيل» الطبعة الأولى تحت عنوان «أسماء الرسل» ص ٩، فقد بسطنا هذا الموضوع بسطًا جيدًا يثلج القلب ويقر العين والحمد لله.

ولله درُّ القائل :

وَلَمْ تَكُنْ بُبُوَّةً مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَةٍ

س : ما هي علامات الرسول؟

ج : هي المعجزة وهي : أمرٌ خارقٌ للعادة ، قصدَ به إظهارَ الحقِّ ، ودحضَ الباطل :

* كانفجار الماء من بين الأصابع ، وعدم إحراق النار كما ظهر ذلك لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

* إحصاء المعجزات وحصرها يضيق عنها هذا الكتابُ فتُطلب من المطوَّلات ، والموسوعات .

* والإيمانُ : لا يتمُّ إلَّا بمعرفة الرسل ، ولا يحصل الإيمانُ بهم إلَّا بمعرفة

١ — ما يجب .

٢ — وما يستحيل .

٣ — وما يجوز في حقهم ، عليهم الصلاة والسلام .

رسالة سيّدنا مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام :

* إِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — قد أرسل سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام ، خاتماً للنبيين ، وناسخاً لما قبله من شرائع اليهود ، والنصارى ، والصابئين :

* وأَيَّدَهُ بالمعجزات العظيمة الظاهرة ، والآيات الباهرة :

١ — كانشقاق القمر .

٢ — وتسبيح الحصى .

٣ — وإنطاق الحيوان الأعجم: كالضب، والذئب، وغيرهما ممن شهدوا له بالرسالة بلسان فصيح.

مَوْقِعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

* ومن آياته الظاهرة التي تَحَدِّثُ بها كافَّةُ العربِ، القرآنُ العظيمُ، مع أنهم فرسانُ البلاغةِ، وأساتذةُ الفصاحةِ، انصاعوا له، وَخَنَوْا هَامَاتِهِمْ لأسلوبه العظيم، وسبكه البديع.

* ولم يقدروا على معارضته، لما فيه من جزالة في الأداء، وبراعة في الأسلوب.

موقع نبينا عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليم:

* يجبُ أَنْ نَعْتَقِدَ وَنُذَعِّنَ، بأنَّ نبينا، أفضلُ الخلقِ أجمعين: إنسا، وجنَّا، ومَلَكًا...

* وأُمَّتُهُ، أفضلُ الأممِ على الإطلاق، لأن شرف التابع بشرف المتبوع.

* ويليه في الفضل

٢ — إبراهيمُ.

٣ — ثم موسى.

٤ — ثم عيسى.

٥ — ثم نوح، ثم باقي الرسل.

* ثم الخلفاء الأربعة الراشدون، وأفضلهم: أبو بكر ومكث في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

* ويليه في الفضل عمرٌ، ومكث في الخلافة عشرَ سنين وستة أشهر.

* ويليه في الفضل عثمان، ومكث في الخلافة إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً وتسعة أيام.

* ويليه بالفضل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومكث في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام. ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهذا أمر مجمع عليه فلا يجوز العدول عنه^(١).

الملائكة:

* هم أجسام لطيفة نورانية، قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة، كاملة في العلم، والقدرة على الأعمال الشاقة:

* لا يوصفون بذكورة، ولا بأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتناكحون.

* وهم عباد مكرمون ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢).

ومنهم الخاص والعام، ومنهم الفاضل والمفضول، وعددهم لا يدخل تحت حصر ولا عد.

الكتبُ الإلهية المنزلة:

* إن الله تعالى كتباً أنزلها على رُسُلِهِ، وبيّن فيها أمره ونهيهِ، ووعدَهُ ووَعِيدِهِ.

(١) فمن قدم أو آخر، فهو غيبيٌّ جهول أو مريض مشلول، وعقله مخلول، وإيمانه معلول، وهو متفق عليه عند علماء الأصول، بنصٍ منقول.

(٢) من سورة التحريم: الآية ٦٠.

وَأَنْ نَعْرِفَ الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ وَهِيَ :

* ١ - : التوراة لموسى عليه السلام .

* ٢ - : والزبور لداود عليه السلام .

* ٣ - : والإنجيل لعيسى عليه السلام .

* ٤ - : والفرقان لسيدنا محمد الله عليهم أجمعين .

ويجب أن نعتقد أن الله حفظ كتابه من التبديل والتحريف :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

السُّؤَالُ :

* أي : سؤال منكرٍ ونكيرٍ في القبر للميت ، وذلك بعد تمام الدفن ،
وعند انصراف الناس :

* يعيد الله الروحَ إلى الميت ، ويردُّ الله إليه مِنْ حَوَاسِّهِ ، وعقله ،
وعلمه ، ما يقدر به على فهم الخطاب ، وردَّ الجواب .

* وليس السؤال عامًا لكل واحد ؛ بل يُسْتَثْنَى منه :

١ - الأنبياء .

٢ - والصديقين .

٣ - والشهداء .

٤ - والمرابطين .

٥ - والملازمين لقراءة تبارك كلِّ ليلة .

(١) من سورة فصلت : الآية ٤٢ .

الْبَعْثُ :

* عبارة عن إحياء الله تعالى الموتى، وإخراجهم من قبورهم بعد جمعه تعالى الأجزاء الأصلية:

* وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ولو قُطِعَتْ قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها البقاء.

الحشر:

* عبارة عن سوقهم جميعاً إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه من الأرض المُبدَّلة، التي لم يُعَصَّ الله تعالى عليها، لفصل القضاء بينهم:

ولا فرق بين مَنْ يُجَازَى وهم:

١ - الملائكة.

٢ - والإنس.

٣ - والجن، وَمَنْ لا يجازى: كالبهائم والوحوش.

والبعث والحشر، للأبدان التي كانت في الدنيا بعينها لا مثلها، وإلاَّ كان المثاب، أو المعذب، غير الذي أطاع، أو عصى، وهو باطل بالإجماع.

هَوْلُ الْمَوْقِفِ :

* هو: ما ينال الناس فيه من الشدائد والمصائب: كطول الوقوف، وإلجام العرقِ الناسَ حتَّى يبلغَ آذانهم، ودنوَّ الشمسِ من الرؤوس حتَّى لا يكونَ بينها وبين رؤوس الخلائق إلاَّ قدرُ الميل.

أَخَذُ الصُّحُفِ :

* وهي : الكتبُ التي كَتَبَتِ الملائكةُ فيها أعمالَهم في الدنيا : يأخذها المؤمنون بأيمانهم ، والكفارُ بشمائلهم . ولزومُها الأعناقَ ، فكلُّ إنسانٍ معلقٌ كتابُهُ في عنقه .

الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ :

* وَزَنُ أعمالِ العبادِ حقٌّ ثابتٌ ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ ^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(٢) . وهو ميزان حِسِّيٌّ ، له لسانٌ وكفتانٌ : إحداهما نيرةٌ ، وهي اليمنى المعدة للحسنات ، والأخرى مُظْلِمَةٌ ، وهي اليسرى المعدة للسيئات . * وأما الموزونُ فهو صحفُ الأعمالِ .

الصراط :

* هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنَّمَ ، يَرُدُّه الأولون والآخرون ، هو : أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف . * أَوَّلُهُ في الموقف ، وآخرُهُ في فضاءٍ : فيه دَرَجٌ يُصْعَدُ عليه إلى باب الجنة .

* وطولُهُ ثلاثة آلاف سنة :

١ - أَلْفٌ صَعُودٌ .

٢ - وأَلْفٌ هَبُوطٌ .

(١) من سورة الأعراف : الآية ٨ .

(٢) من سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

٣ - وألف استواء.

* ووقتُ المرورِ على الصراطِ بعد الحسابِ.

والناسُ متفاوتون في النجاة:

* فمنهم السالمُ من الوقوع في النار.

* ومنهم الواقعُ فيها: إما على التأييدِ والدوامِ، وهم الكفار والمنافقون^(١).

وبالجملة:

* فعلى قدر الاستقامة على الصراط المعنوي في الدنيا، يكون الثباتُ والنجاةُ على الصراط الحسي في الآخرة.

الشفاعة:

فنبينا عليه الصلاة والسلام، يشفع للعباد يوم القيامة، وأنه مُقَدَّم فيها على غيره من الأنبياء، والمرسلين، والملائكة لما روي:
«أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ».
وحديثُ الشفاعةِ متواترٌ، ليس عليه غبار.

أنواعها:

* ١ - الأولى: أعظمُها الشفاعةُ في فصل القضاء، والإراحة من طول الموقف، وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون:
والناسُ في ذاك اليوم يتمنون الانصرافَ ولو إلى النار، لما يرون فيه من الأهوال الجسام.

(١) أو على التأقيت، وهم عصاة المسلمين.

* ٢ — الثانية: الشفاعةُ في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

قال الإمام الذروي:

وهي: مختصة به عليه الصلاة والسلام.

* ٣ — الثالثة: فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

* ٤ — الرابعة: فيمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها.

ويشترك فيها:

١ — الأنبياء.

٢ — والملائكة.

٣ — والمؤمنون.

* ٥ — الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

* ٦ — السادسة: في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود وهي

مختصة به عليه الصلاة والسلام^(١).

الجنة:

فالاعتقاد في الجنة واجب، وهو حق ثابت:

١ — بالكتاب.

٢ — والسنة.

٣ — وإجماع الأمة.

قال الله تعالى:

* ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(٢).

(١) انظر: كتابنا «الصحة القريبة»، الجزء الأول (ص ٢٣٤)، فقد تحدثنا عن

الشفاعة والمقام المحمود بشكل مفصل واضح.

(٢) من سورة مريم: الآية ٦٣.

وحديث مسلم:

* نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ،
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَدَهَا فِيمَا مَضَى.

* والآيات والأحاديث، في ذكرها وثبوتها أكثر من أن تُحصى.

وَلِلْجَنَّةِ أَسْمَاءٌ:

١ - : جَنَّةُ الْمَأْوَى.

٢ - : وَجَنَّةُ الْخُلْدِ.

٣ - : وَجَنَّةُ عَدْنٍ.

٤ - : وَدَارُ السَّلَامِ.

٥ - : وَدَارُ الْجَلَالِ.

٦ - : وَدَارُ النَّعِيمِ.

النار:

* يجب علينا اعتقادُ أَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قال الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١).

وقوله ﷻ:

«إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَوْلَا أَنَّهَا
أُطْفِئَتْ بِالْمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا»^(٢).

(١) من سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي.

القضاء:

هو التسليم لما قدره وقضاه، وهو تعلقُ إرادةِ الله بالأشياء في الأزل على ما هي عليه، فيما لا يزال على وفق علمه من صفات الذات.

والقدر:

هو إيجادُ الأشياءِ على قدرٍ مخصوص، وَوَجْهٍ مُعَيَّن:
* أرادَهُ الله تعالى فهو من صفات الأفعال، فالقضاء قديم، والقدر حادث.

* ولا نزاعَ بينَ أهلِ الحق في أن القضاء والقدر من العقائد التي يجب الإيمانُ بها:

لا يؤمن عبدٌ حتَّى يؤمنَ بالقدرِ خَيْرُهُ وشرُّهُ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِهِ.

الإسلام:

* هو الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة.

* والمراد بالامتثال: الإقرار اللساني بجميع ما جاء به النبي ﷺ، الشاملُ لثبوتِ الوحدانيةِ لله، وثبوتِ الرسالةِ لسيدنا محمد ﷺ.

شروطُ قبولِ الإسلامِ:

- * ١ - : النفي والإثبات.
- * ٢ - : يُشْتَرَطُ أن يعرفَ المعنى ولو إجمالاً.
- * ٣ - : وأن يرتبَ، فلو عكس لم يصحَّ.



* ٤ - : وأن يواليَ بينهما، فلو تراخيتِ الثانيةُ عن الأولى لم يصحَّ إسلامه.

* ٥ - : وأن يكونَ بالغًا عاقلًا، فلا يصح إسلام غيرهما إلَّا تبعًا.

* ٦ - : وأن لا يظهرَ منه ما ينافي الانقيادَ، فلا يصح إسلام الساجد لصنم في حال سجوده.

* ٧ - : وأن يكونَ مُختارًا، فلا يصح إسلام المُكرَه إلَّا إذا كان حربيًا أو مرتدًا.

فهذا معظم متعلقات الإسلامِ بشكلٍ إجمالي.

الإيمانُ:

هو التصديقُ بالقلب فقط، وعليه تجري أحكامُ الآخرة.

* والإقرارُ: شرطٌ لإجراء الأحكامِ الدنيوية:

* فمن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه، فهو مؤمن عندنا، وكافرٌ عند الله من أهل النار.

* ومن صدَّق بقلبه، ولم يُقر بلسانه من غير عذر، فهو كافر عندنا ومؤمنٌ عند الله تعالى.

* ومن أتى بهما جميعًا فهو مؤمن عندنا وعند الله تعالى.

والإيمانُ أربعُ مراتبٍ:

* ١ - الأولى:

إيمانُ المنافقين بألسنتهم دونَ قلوبهم، وإنَّما ينفعهم في الدنيا لحفظ دمائهم، وصون أموالهم.

* وهم في الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١).

* وهم مصيبة عظمى على المسلمين^(٢).

* ٢ - الثانية:

إيمان عامة المؤمنين بقلوبهم، وألسنتهم، لكنهم لم يتخلقوا بمقتضاه، ولم تظهر عليهم ثمرات اليقين، فهم على خطر عظيم.

* ٣ - الثالثة:

إيمان المقرئين، وهم الذين غلب عليهم استحضار عقائد الإيمان فانطبعت بذلك بواطنهم، فظهرت عليهم ثمرات ذلك.

فلا يُعَوِّلُونَ عَلَى شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ، ولا يخافون ولا يَرْجُونَ غَيْرَهُ.

* ٤ - الرابعة:

إيمان أهل الفناء في التوحيد، المستغرقين في المشاهدة... «فَاعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

* وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ حَتَّى لَا أَرَى، وَلَا أَسْمَعَ، وَلَا أَجِدَ، وَلَا أَحِسَّ إِلَّا بِهَا.

وهذا مقام لا يُنال إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ.

وهو مقام الأنبياء والمرسلين، والصديقين، والخوادم من المؤمنين، وهو وحدة الشهود لا الوجود، فافهم.

أُمُورُ الدِّينِ:

الدين: هو الشرع، والشرعة، والملّة، بمعنى واحد،

(١) من سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٢) لأنهم محسوبون عليهم وليسوا منهم.

هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ.

* ويدخل تحت عناصر ثلاثة:

* ١ - : امتثال أمر الله تعالى.

* ٢ - : واجتناب ما نهى الله تعالى عنه.

* ٣ - : والتسليم لقضاء الله وقدره.

الشَّهَادَتَانِ:

لقوله عليه الصلاة والسلام:

«أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». والمرادُ مع قوله: محمدٌ رسولُ اللَّهِ^(١).

الصلاة:

هي عماد الدين، وعصامُ اليقين، ورأسُ القربات، وغُرَّةُ الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢).

وسُئِلَ عليه الصلاة والسلام: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قال: الصلاةُ لِمَوَاقِيتِهَا.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:

الصلاة مكيال: فَمَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى، وَمَنْ طَفَفَ، فَقَدْ عَلِمَ مَا قَالَه الله

في المطففين.

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) من سورة النساء: الآية ١٠٣.

وهي:

* أقوال، وأفعال، مُفْتَحَةٌ بالتكبير المقرون بالنية، مختمةً
بالتسليم...

وحكمةٌ مشروعيّتها:

التذلُّل، والخضوعُ بينَ يدي اللّهِ تعالى، ومناجاةُ بالقراءة والذكر،
والدعاء، واستعمالُ الجوارح في خدمته، معَ مراعاةِ الآداب، واستحضارِ
العلم بأنّه انتصابٌ بينَ يدي الله تعالى^(١).

أحكام الشرع:

الْفَرَضُ وَالنَّسَاءُ:

قَطْعِيّ الدَّلَالَةِ، والثبوت، وهي نصوصُ القرآنِ المفسَّرةُ،
أو المحكمة، والسنةُ المتواترةُ التي مفهومُها قَطْعِيّ.

الواجبُ وَكَرَاهَةُ التَّحْرِيمِ:

* ظَنِّي الثبوتِ قَطْعِيّ الدَّلَالَةِ، وهي أخبارُ الأحادِ التي مفهومُها
قَطْعِيّ.

السنةُ والمُسْتَحَبُّ:

* ظَنِّي الثبوتِ، ظَنِّي الدَّلَالَةِ.

* فما كان فعلُهُ أَوْلى من تركه: مع منع الترك، إن ثبتَ بدليل قَطْعِيّ
فَفَرْضٌ، أو بظني فَوَاجِبٌ.

وبلا منع الترك، إن كان مما واطب عليه الرسولُ عليه الصلاة والسلامُ
والخلفاء الراشدون من بعده، فسنةٌ، وإلّا فمندوبٌ ونفل.

(١) ستأتي معنا مفصلة مع الزكاة والحج والصوم.

المكروه تحريمًا:

* هو ما كان إلى الحرام أقرب، ويسميه بعضهم حرامًا ظنيًا.

والمكروه تنزيهًا:

* هو ما كان تركه أولى من فعله.

أقول: هذا تقسيم محكمٌ جيد لمن أراد الاطلاع على مثل هذه الأحكام الإيمانية؛ بل والاعتقادية، التي يجب معرفتها، والوقوف على فهمها.

انظر ابن عابدين في حاشيته فهي مقتطفة منها بإيجاز.

فضيلة التهليل:

قوله عليه الصلاة والسلام:

* «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»^(١).

* قوله عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِشْرِينَ رِقَابًا، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

(١) حسن غريب.

(٢) متفق عليه.

* قوله عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

* وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أبا هريرة أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا

الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ؟ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».

* وفي رواية مسلم والترمذي:

مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ

عَلَيْهِ النَّارَ.

* وفي رواية:

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ».

فضيلة المكتوب:

* قوله ﷺ:

«إِنَّ الصَّلَاةَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»^(٢).

* قوله ﷺ:

«بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهُمَا»^(٣).

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلًا.

سُئِلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟
«أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا»^(١).
وقال بعضُ العلماء:

* مَثَلُ الْمُصَلِّيِّ مَثَلُ التَّاجِرِ الَّذِي لَا يَخْصُلُ لَهُ الرَّبْحُ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ
رَأْسُ الْمَالِ.

* وكذلك المصلي لا تُقْبَلُ له نافلةٌ حتى يُوَدِّيَ الْفَرِيضَةَ.
وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول:
* «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قُومُوا إِلَى نَارِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَا».

أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ:

فأكثروا من قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ، فَإِنَّهَا كَلِمَةُ
التَّوْحِيدِ، وكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، وكَلِمَةُ التَّقْوَى، وكَلِمَةُ الطَّيْبَةِ، وهي دَعْوَةُ
الحَقِّ، وهي العروة الوثقى، وهي ثَمَنُ الْجَنَّةِ.
وقال الله تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾^(٢).

فَقِيلَ:

* الْإِحْسَانُ فِي الدُّنْيَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْآخِرَةِ: الْجَنَّةُ.
روى عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
* «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَائَتِي مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخَيَّرُ وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(١) متفق عليه.

(٢) من سورة الرحمن: الآية ٦٠.

لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يُذَرِّكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ
بِأَفْضَلِ مَنْ عَمِلَهُ»^(١).

مَعْنَى سُبْحَانَ اللَّهِ:

هَذِهِ الْكَلِمَةُ:

قد تكرر ذكرها كثيرًا بالآيات القرآنية، وفي الأحاديث النبوية.
وهي: منطلقَةٌ على الألسنة بشعورٍ أو بغير شعور، فأردنا أن نذكر
موجزًا عنها لنكون على ضوء من ذلك.

معناها: التنزيه، والبراءة لله عزَّ وجلَّ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، أو عيبٍ...
فهو ذِكْرٌ عَظِيمٌ لله عزَّ وجلَّ، لا يصلح لغيره إلا على طريق المجاز
وهو قليل جدًا...

وقد رَوَى طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهَ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا
مَعْنَى سُبْحَانَ اللَّهِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!
فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«هُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ سَوْءٍ».

فَاللَّهُ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — يُمَجِّدُ نَفْسَهُ، وَيَعْظُمُ شَأْنَهُ، لِقُدْرَتِهِ
سُبْحَانَهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاهُ: كَخَلْقِ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِينَ،
وَالْبَحَارِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، أَي: بَعْدَهُ
وَنَزَاهَتُهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي وَعَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَنَقِيصَةٍ.

التسبيح:

* هو التنزيه أي: أنزهه عن صفات المخلوقين والحوادث.

(١) رواه الحاكم في المستدرک.

ومن معناها: التعجبُ بها، يُشير إلى أعجبِ أمرٍ من أموره تعالى،
حتَّى إِنَّ الإنسانَ إذا تعجَّبَ مِنْ أمرٍ من الأمورِ يقول: سبحانَ الله، تأتي
سبحان بمعنى التعجب.

الحمدُ لِلَّهِ :

* أفضلُ المحامِدِ أن يقولَ العبدُ :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِيهِ مَزِيدَهُ».

لما ورد أن الله تعالى لما أهبط أبانا آدم إلى الأرض قال:
يا رَبِّ عَلَّمْنِي كَلِمَةً تَجْمَعُ لي فيها المحامدَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قل
ثلاثًا عند كل صباح ومساءً :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِيهِ مَزِيدَهُ».

ولهذا: لو حلف إنسانٌ لِيَحْمَدَنَّ اللَّهَ بِمَجَامِعِ المحامِدِ بَرًّا بذلك،
أي: بهذه الصيغة.

قال بعضهم:

الحمد لله: ثمانيةُ أحرفٍ كأبواب الجنة، فمن قالها عن صفاء قلب
استحق أن يدخل الجنة من أيَّها شاء.

وأخرج الديلمي مرفوعًا:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَمْدَ، يُحَمَّدُ بِهِ لِيُثَبِّبَ حَامِدَهُ، وَجَعَلَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ
ذِكْرًا، وَلِعِبَادِهِ ذُخْرًا».

وفي البدر المنير:

(حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى أَمَانٌ لِلنِّعْمَةِ مِنْ زَوَالِهَا).

والحمد: هو صرفُ العبدِ جميعَ ما أنعم الله عليه فيما خُلِقَ لأجله،

أي: يصرفُ جميعَ الأعضاء، والأموال، التي أنعم الله عليه بها في الطاعات التي طُلِبَ استعمالُها فيها أي: فيما خُلِقَتْ له.

أقسامه:

ينقسمُ الحمدُ إلى:

١ - واجب.

٢ - وإلى مندوب.

٣ - ومكروه.

٤ - وحرام.

* ١ - فالواجب: كالحمد في الصلاة، وفي خطبة الجمعة.

* ٢ - والسندوب: كخطبة النكاح، وفي ابتداء الدعاء، وبعد

الأكل والشرب، وفي ابتداء الكتب المصنفة، وفي ابتداء درس المدرسين.

* ٣ - ومكروه: كالحمد في الأماكن المستقذرة.

* ٤ - وحرام: كالحمد عند الوقوع في المعصية، وانتصاره على

المظلوم.

كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

* وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال:

قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى

إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ

عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

ورواية أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي

عليك؟

فقال:

قولوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ...» الحديث^(١).

حكم الصلاة على النبي ﷺ:

إِعلم أن الصلاة على النبي ﷺ، فرض على الجملة، غير محدّد بوقت لأمر الله بالصلاة، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه.

* والواجب منه الذي يسقط به الحرجُ، ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مُرَغَّب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله.

وأن مَنْ صَلَّى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه.

وقال أصحاب الشافعي:

الفرض منها الذي أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ هو في الصلاة.

فقال الشافعي:

من لم يصل على النبي ﷺ من بعد التشهد الأخير قبل السلام، فصلاته فاسدة، خلافاً لباقي الأئمة^(٢).

(١) وقد ذكر في هذا روايات عديدة.

(٢) انظر كتابنا «الصحوة القريبة» الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، ص ٤٧٨ تحت عنوان «ورد الأبرار في الصلاة على النبي المختار» فقد فتحنا هذا الموضوع فتحاً جيداً والحمد لله.

* الواجب العيني :

هو ما طلبَ الشارعُ فعله من كل فرد من أفراد المكلفين، ولا يجزيه قيامُ مكلفٍ به عن آخر.

* الواجب الكفائي :

هو ما طلب الشارعُ فعله من مجموع المكلفين، لا من كل فردٍ منهم، بحيث إذا قام به بعضُ المكلفين، فقد أدَّى الواجبَ، وسقط الإثمُ عن الباقين.

أو هو ما يُقصدُ محصُولُهُ من غير نظر إلى فاعله، فالمُهمُّ حصولُ المطلوب من بعض المكلفين، وقد ذكر الإمام النووي أمثلةً لكلٍ.

أصول الدين :

* الكتاب :

هو كلام الله تعالى، المنزلُ على سيّدنا محمدٍ ﷺ المتعبّدُ بتلاوته، المعجزُ بأصغر سورةٍ منه، المنقولُ إلينا بالتواتر.

* السنة :

هي ما صدر عن النبي ﷺ من :

١ - قولٍ.

٢ - أو فعلٍ.

٣ - أو تقريرٍ.

* القياس :

هو ردُّ الفرع إلى الأصل بعلّة تجمعهما في الحكم، أو إلحاق واقعة

لم يَرُدْ في حكمها نصٌّ، ولا إجماعٌ، بواقعةٍ وَرَدَ في حُكْمِها نصٌّ،
أو إجماعٌ، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم.

* الإجماع:

- اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة.
- أو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ على أمرٍ من الأمور في غير عصر الرسول عليه الصلاة والسلام.
- أو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في عصرٍ من العصور على حكم شرعيٍّ.

* * *

المَقْصِدُ الثَّانِي فِي أَحْكَامِ الطَّهَارَةِ

* إِنَّمَا تَصَحُّ بِمَاءٍ مُطْلَقٍ : لَا مُسْتَعْمَلٍ ، وَلَا مُتَغَيَّرٍ
بِمَخَالِطٍ أَوْ نَجَسٍ ، وَهُوَ مَا حَلَّ فِيهِ نَجَاسَةٌ وَهُوَ دُونَ قُلَّتَيْنِ
فَتَغَيَّرَ .

* وَيُكْرَهُ مُشَمَّسٌ بِشَرْطِهِ ^(١) .

(النَّجَاسَةُ) :

* ١ - الدَّم .

٢ - وَالْقِيءُ .

٣ - وَالْمَسْكِرُ الْمَائِع .

٤ - وَالْخَارِجُ مِنَ السَّبِيلَيْنِ سِوَى مَنِيٍّ .

٥ - وَالْمَيْتَةُ سِوَى سَمَكٍ ، وَجَرَادٍ ، وَبَشَرٍ .

٦ - وَالْكَلْبُ .

٧ - وَالْخَنزِيرُ وَفُرُوعُهُمَا .

٨ - وَالْمُبَانُ مِنْ حَيٍّ كَمَيْتَتِهِ سِوَى شَعَرٍ مَأْكُولِهِ .



(١) انظر في ص ٧٣ فقد تعرض لشروطه .

٩ — والخمرُ تطهرُ بالتخليلِ بنفسها .

١٠ — وجلدُ ميتةٍ — غيرِ كلبٍ وخنزير — يطهرُ بدبغ .

والمتنجس بولوغهما يُغسل سبْعًا واحدةً بترابٍ ، وغيرُهما يُغسل مرةً والتثليثُ أولى .

* ويكفي في بول طفل لم يأكل رشًّا ، ويُعفى عن ميتة لا يسيل دُمها ، وقليل دمٍ وقيحٍ^(١) .

و (الآنية) :

* يحل استعمالُها ما لم تكن من ذهب أو فضة أو بضبة من ذهب أو من فضة كبيرة لحاجة أو صغيرة لزينة تكره .
* ويتحرّى لا شتباه طاهر ومُتنجّس .

(السَّوَالُ)^(٢) :

* سُنَّةٌ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ لَصَائِمٍ ، ويتأكد عند :

١ — استيقاظ .

٢ — وصلاة .

٣ — وتغيّر فم .

و (الوضوء) :

* «موجبه» :

١ — خارجٌ من سبيل .

(١) وحده : أن لا يُرى بالبصر .

(٢) انظر ص ٧٩ في هذا الكتابِ فقد ذكر فضله وفوائده .

- ٢ — وزوالُ عقلٍ ، لا بنومٍ متمكنٍ .
 ٣ — ولمسُ رجلٍ امرأةٍ غيرَ مَحْرَمٍ بلا حائل .
 ٤ — ومسُّ فرجِ آدميٍّ بباطنِ كفٍ .
 * و «فرضه» :

- ١ — النيةُ .
 ٢ — وغسلُ وجهِهِ .
 ٣ — ويديه بمرفقيه .
 ٤ — ومسحُ بعضِ رأسِهِ .
 ٥ — وغسلُ رجلَيْهِ بكعبيه .
 ٦ — والترتيب .

* و «سُنْدُهُ» :

- ١ — التسميةُ .
 ٢ — وغسلُ كفيه قبلَ إِدْخَالِهِمَا الإِنَاءَ .
 ٣ — والمضمضةُ .
 ٤ — والاستنشاقُ .
 ٥ — واستيعابُ رأسِهِ .
 ٦ — ومسحُ أذنيه .
 ٧ — وتخليلُ أصابعِهِ .
 ٨ — ولحيته الكثرة^(١) .

(١) هي التي لم ير المخاطبُ بشرتها .

٩ — وتقديمُ يمناه .

١٠ — والتثليثُ .

١١ — والولاءُ .

و «المسح على الخفين» :

* «يجوز» :

للمقيم يومًا وليلةً، وللمسافر ثلاثة أيامٍ بلياليهن
من الحدث، بشرطٍ :

١ — لبسهما بعدَ كمال طهرٍ تامٍّ .

٢ — وإمكانٍ مشيٍّ عليهما .

٣ — وسترٍ محلَّ الغسلِ .

* و «مُبطله» :

١ — خَلْعٌ .

٢ — وتامُّ مدته .

٣ — وموجبُ غُسلٍ .

و «الاستنجاء» :

* يجب من مُلوّث، ويُسن بحجارةٍ ثُمَّ ماءٍ، ويُجزئُ
بماءٍ أو ثلاثة أحجارٍ يُنقى بها المحلُّ بشرطه ؛ ولا يبول مستقبلَ
القِبلةِ، ولا مستدبرَها بصحراءٍ وجوبًا، ولا في ماءٍ راكدٍ، وتحت
شجرةٍ مثمرةٍ، وطريقٍ، وظلٍّ، وثُقبٍ، ويسْكُتُ .

و (الْغُسْلُ) :

* «مَوْجِبٌ» :

١ — دَخُولُ حَشْفَةِ فَرْجَا .

٢ — وَخُرُوجُ مَنِيِّ .

٣ — وَمَوْتٌ .

٤ — وَحَيْضٌ .

٥ — وَنَفَاسٌ .

٦ — وَوَلَادَةٌ .

* و «فَرْضُهُ» :

١ — النِّيَّةُ .

٢ — وَغَسْلُ كُلِّ بَشْرَتِهِ وَشَعْرِهِ .

* و «سُنَّه» :

١ — الْوُضُوءُ .

٢ — وَالذَّلْكُ .

٣ — وَالْوَلَاءُ .

* «وَسْنٌ» :

١ — لَجْمَعَةٌ .

٢ — وَعِيدٌ .

٣ — وَخُسُوفٌ .

٤ — وَاسْتِسْقَاءٌ .

- ٥ - وإسلام.
- ٦ - وإفاقة^(١).
- ٧ - وإحرام.
- ٨ - ودخول مكة.
- ٩ - ووقوف عرفة.
- ١٠ - ورمي الجمار أيام التشريق.
- ١١ - ومن غسل ميّت.

و (التيمم):

* «شرطه»:

- ١ - فقد ماء.
- ٢ - أو خوف استعماله.
- ٣ - ودخول وقت.
- ٤ - وطلب فاقد.
- ٥ - وتراب.
- * و «فرضه»:

- ١ - نقل.
- ٢ - ونية استحابة.
- ٣ - ومسح وجهه، ويديه بمرفقيه.
- ٤ - والترتيب.

(١) أي: من جنون، أو إغماء.

* و «سنة» :

١ — التسمية.

٢ — وتقديمُ يَمَنَاه.

٣ — والولاء.

* و «مُبطله» :

١ — الحدث.

٢ — ورؤية ماءٍ خارج الصلاة.

٣ — وردّة.

* و يتيمّم لكلّ فرض^(١).

* وصاحبُ جبيرةٍ يمسحُها ويتيمّم، ولا يعيد إن وُضعت على طُهر.

و (الحیض):

* إمكانيّه بعدَ تسع سنينَ، وأقلُّه يومٌ وليلة، وأكثرُه خمسةَ عشرَ يومًا.

* وأقلُّ النفسِ لحظةً، وأكثرُه ستونَ يومًا، فإنْ عَبَر الأكثرُ فاستحاضة.

* وأقلُّ الطُّهر خمسةَ عشرَ يومًا، ولا حدّ لأكثره.

و (يحرّم)

* «بالحدث» :

١ — الصلاة.

(١) لأنه طهارة ضعيفة.

٢ - والطوافُ.

٣ - ومسُّ المصحفِ.

٤ - وحمله.

* و «بالجنابة» :

الأربعة، والقراءة، واللُّبثُ بمسجدٍ.

* و «بالحيض، والنفاس» :

الستة، والتمتعُ بما بينَ السرة والركبة إلى الغسل،
والصومُ إلى الانقطاع^(١).

الشرح

المياه وأنواعها :

الماء المطلق :

* ١ - أولها: الماء المطلق، وهو طاهرٌ في نفسه، مُطَهَّرٌ لغيره،
غيرُ مكروهٍ استعماله؛ فلا يرفعُ الحدثَ الأصغرَ، ولا الأكبرَ، ولا يُزيل
النَجَسَ، ولا يُحَصِّلُ سائرَ الطهارة - ولو مسنونةً، كتجديد الوضوءِ،
وغُسلِ الجمعة - : إلَّا الماءُ المطلق.

* وهو ما يقع عليه اسمُ الماء بلا قيدٍ لازم: كماء الورد، وماءِ
العنب وغير ذلك.

فهذه المياهُ وأمثالُها: لا تصلحُ للطهارة ولو كانت طاهرةً في نفسها،
ولا لإزالة النجاسة، لو معفوًا عنها.

(١) هذه أحكام مجتمعة جدًا. ينبغي الوقوف على تفصيلها، والسؤال عنها.

الماء المستعمل :

* ٢ - ثانيهما: الماء المستعمل، وهو طاهرٌ في نفسه غيرُ مُطَهَّرٍ لغيره، فلا يجوزُ استعمالُه - أيضًا - في رفع حدث، ولا إزالة نجسٍ.

* ويجوز استعمالُه في غير ذلك من العادات: كطبخ، وعجن، وشرب، وتنظيف.

والمستعمل قسمان:

* أحدهما: ما استُعملَ فيما لا بدَّ منه: كالغسلة الأولى في الوضوء.. والغسل.

* وأما الغسلة الثانية والثالثة لو جمعها وتوضأ بها، أو اغتسل لجاز ذلك.

* وثانيهما: ما تغيَّر بمخالط طاهر مستغنى عنه، تغيَّرًا يمنع إطلاق اسمِ الماء عليه:

كزعفران، وخلّ، وصابون، وغير ذلك، يُقال لهذا: متغيَّرًا بمخالط يمنع إطلاق اسمِ الماء عليه.

الماء المُشَمَّسُ :

* ٣ - وثالثها: الماء المُشَمَّس، طاهرٌ في نفسه، مطهَّرٌ لغيره، مكروهٌ استعمالُه، وهو الماء المشمس المسخَّن بتأثير الشمس فيه، ببلد حار، في إناء منطَبَع: كنجاس وحديد، وأن يُستعمل حالَ حرارته.

الماء النجسُ :

* ٤ - ورابعها: الماء النجس ماءً متنجسٌ وهو ما لاقتة نجاسةً،

وكان دونَ القلتين، أو قلتين فأكثرَ ولكنه تغير، فيحرم استعماله في العبادات والعبادات.

فائدة:

* إن كُوثرَ القليلُ المتنجس فبلغ قلتين طهر.

والقلتان: مقدارُ عشرِ تنكات ماءٍ تقريبًا. هذا هو الماء الكثير عند الشافعية.

الطهارةُ لها أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

١ - المرتبةُ الأولى:

* تطهيرُ الظاهرِ عن الأحداث، وعن الأخباث، والفضلات. وهذه المرتبةُ شرطٌ لصحة الصلاة.

٢ - المرتبة الثانية:

* تطهيرُ الجوارح عن الجرائم والآثام، ويُعبّر عنها بالتخلية عن كل صفة مردولة، وعمل يُبغضه الله تعالى^(١).

٣ - المرتبة الثالثة:

* تطهيرُ القلبِ عن الأخلاق المذمومة، والرذائل الممقوتة: كالحسد، والغِل، والحقد، والتعلق بالمكُونات مع الإعراض عن المَكُون كحال أهل الدنيا.

(١) كالزنا، والخمر، والميسر، وغير ذلك، وقد ذكرنا قسمًا من هذا في النصيحة الموجزة عن التخلي والتحلي بشكل مفصل.

٤ — المرتبة الرابعة:

* تطهير السرِّ عمّا سوى الله تعالى، وهي طهارةُ الأنبياءِ صلوات الله عليهم، والصدّيقين.

* وأهمُّ الأمورِ هو تطهيرُ السرائرِ، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ: الطهور نصف الإيمان، عمارةُ الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء على البدن، وتخريبُ الباطن، وإبقاؤه مشحونًا بالأخبار والأقذار المعنوية، وأن القلب هو محلُّ نظرِ الربِّ جلَّ وعلا.

النَّجَاسَةُ:

* ١ — المسكراتُ المائعةُ — بما فيها على اختلاف أسمائها — نجسةٌ: خرج بذلك الأفيون، والحشيش، والقات، والأشياء المخدّرة كالبنج وغيره ليست بنجسة، ولكنَّ استعمالها حرامٌ ويُعزّر مرتكبها ولا يُحد، لأن الحدَّ ورد في الخمر فقط.

* ٢ — البول والغائط — من إنسان أو حيوان، على اختلاف أنواعه، ولو طائرًا في السماء — نجسٌ غيرٌ معفوٍ عنه خلافاً لبعضهم حيث استثنى الطائر.

* ٣ — المذيّ سواءً خرج من المرأة أو الرجل، فهو نجس ناقضٌ للوضوء، غيرٌ موجبٍ للغسل.

وهو يخرج عند مداعبة الزوج زوجته وهو: ماءٌ أبيضٌ رقيقٌ ويخرج عند ثوران الشهوة.

* ٤ — والوَدْيُ يخرج عند استمساك الطبيعة بعد البول — وهو ماءٌ

أبيضُ ثخينٌ - وعند حمل شيء ثقيل، أو تأخير عن وقاع، وخروج مني منه، ويخرج - أيضًا - عند ثوران الشهوة.

* ٥ - والكلب والخنزير، وما تولد منهما، نجاستهما مغلظة، لا تطهر إلا بالتراب مع سبع غسّلاتٍ، للنص في ذلك.

* ٦ - أما المنّي: فظاهرٌ لكن بشرط أن لا يتقدمه بولٌ، أو مذيٌّ، فإن تقدّمه مذيٌّ أو بولٌ، صار متنجسًا يجبُ غسلُ الثوبِ إن أصابه، فليتنبه لهذا^(١).

* ٧ - الدماء بما فيها، والقروح على اختلاف أنواعه، والصدید - وهو دم فاسد - كلّها نجسةٌ.

* ٨ - لبنُ الحيوانِ غيرِ المأكولِ كلّهُ نجسٌ^(٢).

* ٩ - ميتةٌ غيرِ الآدمي والجرادِ والسمكِ، كلّها نجسةٌ.

أما الآدمي، والجراد، والسمك: لا ينجس بالموت.

أما الآدمي للتكریم، والصفان الآخران للنص.

* ١٠ - والمنفصلُ من الحيوان حالَ حياته كميّته، فهو نجس يحرم أكله ما عدا اللبن والصوف، فهما طاهران بلا خلاف.

الخل:

* تطهرُ خمرٌ تخلّلتْ بنفسها من غير مصاحبة عين أجنبية لها، وإن لم تؤثر في التخلل كحصاة^(٣) ويتبعها في الطهارة الدنّ.

(١) وأما غير الشافعية حكموا بنجاسته مطلقاً.

(٢) بعض الجهلة من المسلمين يتعاطون حليب الحمامة، فهو حرام، فليتنبه لهذا.

(٣) ويجب تجريد العنب من عراميشه، لأنه أجنبي، فتنبه لهذا فهو دقيق وابحث عن العلة.

* وإِنَّمَا طَهَرَتِ الْخَمْرُ بِالتَّخْلِيلِ، لَأَن عِلَّةَ النِّجَاسَةِ، وَالتَّحْرِيمِ
الْإِسْكَارُ وَقَدْ زَالَ:

وَلِحِلِّ اتِّخَاذِ الْخَلِّ إِجْمَاعًا لِحَدِيثِ: «نِعَمَ الْأَذَمُ الْخَلُّ».
وَلَهَا شُرُوطُ تَطْلُبُ مِنَ الْمَطُولَاتِ، لَا يَلِيْقُ ذِكْرُهَا بِهَذَا الْمَخْتَصَرِ.

الدَّبَاغُ:

* وَيَطْهَرُ جِلْدٌ نَجَسَ بِالْمَوْتِ بَاندِبَاغٍ نَقَّاهُ بَحِيْثٌ لَا يَعُوْدُ إِلَيْهِ نَتْنٌ،
وَلَا فُسَادٌ لَوْ نَقَعَ بِالْمَاءِ!!

* وَالْحَاصِلُ:

لَا يَطْهَرُ شَيْءٌ نَجَسَ الْعَيْنُ لَا بِالْغَسْلِ، وَلَا بِالِاسْتِحَالَةِ، لَكِنْ يُسْتَنْى مِنْ
هَذَا شَيْئَانِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِلنَّصِّ النَّبَوِيِّ، وَلِعُمُومِ الْاِحْتِيَاجِ لِهَمَا:

* ١ - الْخَمْرُ إِذَا تَخَلَّلَتْ بِنَفْسِهَا.

* ٢ - وَالْجِلْدُ النَّجَسُ بِالْمَوْتِ إِذَا دُبِغَ.

وَإِنَّمَا طَهَرَ بِالدَّبَاغِ لِلْأَخْبَارِ الصَّحِيْحَةِ فِي ذَلِكَ كَخَبَرِ:

«إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهَرَ»، فَيَجُوزُ حِينَئِذٍ بَيْعُهُ، وَاسْتِعْمَالُهُ.

ملاحظة:

* ثُمَّ هُوَ بَعْدَ الْاِنْدِبَاغِ كَثُوبٌ مُتَنَجِّسٌ فَلَا بَدَّ مِنْ تَطْهِيرِهِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

ملاحظة:

* وَيُسْتَنْى مِنْ هَذَا الْحَكْمِ الْكَلْبُ، وَالْخَنْزِيرُ، فَلَا يَطْهَرَانِ بِالدَّبِغِ
لَأَن عَيْنَهُمَا نَجَسَةٌ وَلَوْ اسْتَحَالَا إِلَى رَمَادٍ^(١).

(١) قَلْبُ الْأَعْيَانِ لَيْسَ مَطْهَرًا لِلْعَيْنِ النَّجَسَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ خِلَافًا لِلْحَنَفِيَّةِ.



أواني الذهبِ والفضةِ :

* يَحْرُمُ عَلَى الرجال والنساء اتخاذهُ، واستعمالُ أواني الذهبِ والفضةِ في أكلٍ، وشُرْبٍ، أو غيرهما:

كالقمقم، والمبخرة، والساعة، والمكحلة، والملعقة، والمشط، والخلال، والإبرة، ونحوها.

* ولا يجوز تحلية جدرانِ وسقفٍ، ولو المسجدَ، أو الكعبةَ بذهب أو فضة.

ملاحظة:

* أواني الذهب، والفضة إذا بلغتِ النصابَ تجبُ الزكاةُ فيها مع الحرمة، لأنه يحرم اقتناؤها، كما يحرم استعمالها.

* ويحرم التختم بالذهب على الرجال. ويسن بالفضة، أو هو من المباحات.

* ويجوز اتخاذهُ أنفٍ، أو أنملة من ذهب أو فضة، والسنُّ يُلْحَقُ بهما.

* ويكره استعمالُ أواني الكفار وثيابهم، لأنهم لا يتورعون عن النجاسة.

* ويباحُ الإناءُ من كلِّ جوهرٍ نفيسٍ: كياقوت، وزمرد، وليس عليها زكاة، ولكن يكره للترف المذموم.

* فالزكاةُ محصورةٌ في النقدين أعني: الذهبَ والفضةَ فحسب فتنبه.

ويحرم تشبه الرجل بالمرأة في لبس، وعكسه أيضًا.

* لَعَنَ اللَّهُ الرَّجُلَ خَلَقَهُ ذَكَرًا، فَأَنْثَ نَفْسَهُ، وَتَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ .
 * وَلَعَنَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ خَلَقَهَا أَنْثَى، فَتَذَكَّرَتْ، وَتَشَبَّهَتْ بِالرِّجَالِ .
 وهذا قد فشا فشوا كبيرا في صفوف المسلمين، حتى لا تكاد أن تميز
 الذكر من الأنثى، وهذه علامة من علامات الدمار والهلاك .

السَّوَاك :

* سنة لقوله عليه الصلاة والسلام:
 «السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» .
 ولقوله عليه الصلاة والسلام:
 * «لَوْلَا أَنْ أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضوءٍ» .
 ويستاك بيمينه، ويبدأ بالجانب الأيمن من فمه، ويثني الجانب
 الأيسر، وينوي عند الاستياك سنته . وفيه فضائل كثيرة :

- * ١ — يُطَهِّرُ الْفَمَ .
- * ٢ — وَيُرْضِي الرَّبَّ .
- * ٣ — وَيُبَيِّضُ الْأَسْنَانَ .
- * ٤ — وَيَطْيِبُ النُّكْهَةَ .
- * ٥ — وَيُسَوِّي الظَّهَرَ .
- * ٦ — وَيَشُدُّ اللَّثَّةَ .
- * ٧ — وَيُنْطِيءُ الشَّيْبَ .
- * ٨ — وَيُرَكِّي الْفِطْنَةَ .
- * ٩ — وَيَصْفِي الْخِلْقَةَ .
- * ١٠ — وَيُضَاعِفُ الْأَجْرَ .

- * ١١ - وَيُسَهِّلُ التَّرْعَ .
 * ١٢ - وَيُذَكِّرُ الشَّهَادَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ .
 * ١٣ - وَإِدَامَتُهُ تُورِثُ السَّعَةَ وَالْغِنَى وَتُسِّرُ الرِّزْقَ .
 * ١٤ - وَيُطَيِّبُ الْفَمَ، وَيُسَكِّنُ الصَّدَاعَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ فِي
 المطولات .

نَوَاقِضُ الْوُضُوءِ :

هي أربعة فقط وهي ثابتة بالأدلة النقلية، ولكنَّ علة النقص بها غيرُ معقول، فلا يُقاس عليها غيرها .

- * ١ - أحدها: خروجُ شيءٍ من السبيلين: أعني القُبْلَ، أو الدُّبُرَ .
 خرجَ الدخولُ، فلا يَنْتَقِضُ الوضوءُ بالإدخال للنص .
 * ٢ - ثانيها: زوالُ عقلٍ بـ: سُكْرِ، أو جنونٍ، أو مرضٍ،
 أو نومٍ؛ للخبر الصحيح: «فَمَنْ نَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ» .
 وخرج بزوال العقل، النعاسُ فلا نقضَ به، كما إذا شكَّ هل نام
 أو نعسَ، فلا نقضَ .

- * علامة النعاسِ سماعُ: كلامِ الحاضرينَ وإن لم يفهمه .
 * علامة النوم: الرؤيا .
 * ٣ - ثالثها: مَسُّ فَرجِ آدَمِي، ولو لميت أو صغير، قُبْلًا كان
 الفرج، أو دبرًا بباطن الكف .

والناقضُ من الدبر: مُلْتَقَى المنفذِ، لا ما فوقه، ولا ما تحته .
 * ٤ - رابعها: تلاقي بشرتي ذكرٍ وأنثى، ولو بغير شهوة .
 سواءً كان المسُّ عمدًا، أو خطأ، أو سهواً^(١) .

(١) لإطلاق قوله تعالى: ﴿أَوْ لَسْتُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ .

فللتلاقي النَّاقِضِ أربعةٌ قيودٍ لا بدَّ منها:

* ١ - تلاقي البشرةِ بينهما بغير حائل.

* ٢ - وكونه بين ذكر وأنثى.

* ٣ - وكونه مع الكبير، أما الصغير فلا نقضَ باللمس مطلقاً.

* ٤ - وعدم المحرمية بينهما.

خرج بذلك: الشعرُ، والسنُّ، والظفرُ.

فرائضُ الوضوءِ:

ستةٌ فقط، أربعةٌ منها ثبتت بنصِّ القرآن، واثنان بالسنة.

* ١ - أحدها: النية: ومحلُّها القلبُ، وحُكْمُها الوجوبُ،

وزمنُّها أولُ الواجبات.

وكيفيتها: تختلفُ بحسبِ الأبواب.

وشرطها: إسلامُ الناوي، وتمييزُه، وعلمه بالمنوي.

والمقصودُ بها: تمييزُ العادةِ من العبادة: كالجلوس مثلاً في المسجد

للاعتكاف، أو للاستراحة؟ ويجب قرنُها عند أولِ غَسْلِ الوجه.

* ٢ - وثانيها: غَسْلُ ظاهرِ وجهه؛ لآية ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وحَدُّه طولاً: ما بين منابت شعر الرأس، إلى تحت منتهى لحية،

وعرضاً: ما بين أذنيه.

ويجب غَسْلُ شعرِ الوجه: من هُذْبٍ، وحاجب، وشارب، وعنقفة،

ولحية.

* ٣ - وثالثها: غَسْلُ يديه؛ وحَدُّهما: من رؤوسِ الأصابعِ إلى

المنكبِ.

ويجب غَسْلُ جميع ما في محل الفرض من شعرٍ وظفر.

* ٤ - ورابعها: مسحُ بعضِ رأسه، ووجهُ دلالتها على الاكتفاء بمسح البعض أن الباء إذا دخلت على متعدد كما في الآية تكون للتبعض، أو على غير متعدد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ تكون للإلصاق.

* ٥ - وخامسها: غَسْلُ رِجْلَيْهِ مَعَ الكعبين، ويجب غسل باطن ثقب، وشِقِّ، وغَسْلُ ما بين الأصابع.

ويجب إزالة ما عليهما، وما تحت الأظفار من وسخ ونحوه.

* ٦ - وسادسها: الترتيب في أفعال الوضوء، بأن يبدأ بغسل الوجه، ثم اليدين، ثم مسح الرأس، ثم غسل الرجلين. ويسقط الترتيب بانغماسه في ماء بنية الوضوء.

ومما يدل على وجوب الترتيب، أنه تعالى: ذكر ممسوحًا بين مغسولات في آية الوضوء وتفريق المتجانس لا ترتبه العرب إلا لفائدة، وهو هنا وجوب الترتيب.

سننُ الوُضوءِ :

* واعلم أنَّ :

١ - السنة.

٢ - والتطوع.

٣ - والنفل.

٤ - والمندوب.

٥ - والحسن.

٦ - والمرغَب فيه :

ما يُثَاب على فعله، ولا يُعَاقَب على تركه، فهي ألفاظٌ مترادفة لا غير.

وسنن الوضوء كثيرةٌ أوردناها بعضهم إلى ستٍ وستين :

* ١ - ومنها: البسْملةُ أوَّلُه. وتجبُ البسْملةُ عندَ أحمد. ويُسن قبلُها التَّعوُّذُ، وبعدها الشَّهادتان^(١).

* ٢ - ومنها: غسْلُ الكفَّينِ إلى الكوعين، أي: الرسغين.

* ٣ - ومنها: المضمضةُ، والاستنشاقُ، خلافاً للإمام أحمد القائل بوجوبهما، وتُسن المبالغةُ فيهما ما لم يكن صائماً.

* ٤ - ومنها: مسحُ جميعِ الرأسِ خروجاً من خلاف مَنْ أوجبه كمالك وأحمد...

* ٥ - ومنها: مسحُ الأذنين ظاهراً وباطناً، ولا يُسن مسحُ الرقبة.

* ٦ - ومنها: دَلْكُ الأعضاء خروجاً من خلاف مَنْ أوجب الدلك كمالك...

* ٧ - ومنها: تخليلُ اللحية الكثة، وهي التي لم يرَ المخاطب بشرتها، وإلاً وجب تخليلُها.

* ٨ - ومنها: إطالةُ الغُرةِ والتَّحجيل، لخبر الشيخين:

«إِنَّ أُمَّتِي يُذَعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ: فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

(١) ويزيد: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ طَهُورًا وَالْإِسْلَامَ نُورًا».

* ٩ - ومنها: تثليثُ كُلِّ: من مغسولٍ، وممسوحٍ للاتِّباع، لأنَّ النبي ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً.

* ١٠ - ومنها: التيامنُ أي: تقديمُ اليمينِ على يسارٍ في اليدين والرجلين، إذ هو من باب التكريم.

المسح على الخفين:

* شرع مسحُ الخفِّ في السنة التاسعة من الهجرة، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام، قولاً وفعلاً.

وعن الحسن قال: حدثني سبعون صحابياً أنه مسح على الخفين وهو بدلٌ عن غسل الرجلين في الوضوء.

وشروطه: - نمسةُ أشياء:

* ١ - لأول: لبُسُهما بعد تمام الطهارة.

* ٢ - لثاني: كونهما طاهرين.

* ٣ - لثالث: كونهما ساترين للقدم مع كعبيه: من أسفله وجوانبه.

* ٤ - لرابع: أن يمكنَ تتابعُ المشي عليهما بتردد مسافر لحاجته عند الحط والترحال.

* ٥ - لخامس: أن يمنعا وصول الماء إلى القدم لو صُبَّ عليه.

مُبْطَلَاتُهُ أَرْبَعَةٌ:

* ١ - لأول: تمامُ مدة المسح.

* ٢ - لثاني: انخلاعُهما، أو انخلاعُ أحدهما.

* ٣ - لثالث: حدوثُ ما يوجب الغُسلَ من نحو جنابة.

* ٤ - الرابع : ظهورُ شيءٍ مما سَتَرَ مِنَ القدم .

فرضه :

مَسْحُ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ ظَاهِرِ أَعْلَى الْخَفِّ الْمُحَاذِي لِمَحَلِّ الْفَرْضِ .

تنبيه :

* مَنْ نَزَعَ خَفَّهُ ، أَوْ أَحَدَهُمَا ، أَوْ ظَهَرَ شَيْءٌ مِمَّا سَتَرَهُ ، أَوْ انْقَضَتْ الْمُدَّةُ وَهُوَ مَتَوَضِعٌ وَمَاسِحٌ عَلَيْهِ ، لَزِمَهُ غَسْلُ قَدَمَيْهِ فَقَطْ .

فائدة :

* الْمَسَافِرُ يَمْسَحُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِذَا كَانَ سَفَرُهُ طَوِيلًا ، وَابْتِدَاءُ الْمُدَّةِ مِنْ حِينَ الْحَدَثِ بَعْدَ لِبْسِهِ ، لَا مِنْ حِينَ الْمَسْحِ .

الاستنجاء :

* وَاجِبٌ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ ، وَاحْتِجَّ لَهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
«وَلَيْسَتُنْجِي بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ» .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

* «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَسْتَطِيبُ بِهِنَّ فَإِنَّهَا تُجْزِي عَنْهُ» أَيُّ عَنِ الْمَاءِ .

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَسْتَجْمِرَ بِالْأَحْجَارِ ، ثُمَّ يَتْبَعُهَا الْمَاءُ .

وَإِذَا أَرَادَ الْاِقْتِصَارَ عَلَى أَحَدَهُمَا ، فَالْمَاءُ أَفْضَلُ .

وَالْأَفْضَلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ ، لِأَنَّ الْعَيْنَ يَزُولُ بِالْحَجَرِ ، وَالْأَثَرَ يَزُولُ بِالْمَاءِ .

وللحجر شروط ثلاثة:

* ١ - أحدها: أن يكون طاهرًا، فلو استنجى بمتنجس تعين الماء.

* ٢ - الثاني: أن يكون ما يستنجي به قالعًا للنجاسة، فلا يجزيء الشيء الملمس كالورق الأبيض، وغيره.

* ٣ - الثالث: أن لا يكون محترمًا، فلا يجوز الاستنجاء بمطعوم: كالخبز والعظم، لأن العظم مطعوم الجان.

مِنْ آدَابِ قَاضِي الْحَاجَةِ:

* لا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بيمينه، ولا ينظرُ إلى عورته، ولا إلى ما يخرج منه، ولا يعبثُ بيده، ولا يلتفتُ يمينًا ولا شمالًا، وَيَسْتَرْخِي قليلًا عند الاستنجاء، ويستترُّ عن أعين الناس، ويستبرئ للبول عند انقطاعه.

* ويحرم البول على مطعوم ولو للجن كعظم، وعلى ما كتب عليه مُعَظَّم، كاسم الله تعالى.

* ويسن أن يُقَدِّم يساره عند الدخول، ويؤمناه عند الخروج، ولا يدخل حاسر الرأس، ويقول قبل الدخول: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ، وإذا خرج يقول: غُفْرَانُكَ «ثلاثًا» «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي».

مُوجِبَاتُ الْغُسْلِ:

* ١ - أحدها: دخولُ حشفةٍ. وهي فوق محلِّ الختان، وإن لم يُنزل في قُبَل أو دُبُر: آدمي أو بهيمة، حَيٌّ أو ميت، للحديث الصحيح: * «إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ».

* ٢ - ثابها: خروجُ منيّه: بلذةٍ أو بغير لذة. ويُعرف بأحد خواصه الثلاث:

* ١ - التلذُّدُ بخروجه.

* ٢ - أو التدفق.

* ٣ - أو ريع عجين رطب.

* ٣ - ثالها: حيضٌ أي: انقطاعه، فالحيضُ: هو الموجب للغسل والانقطاع: شرط لصحته.

وهو: دم يخرج من أقصى رَحِمِ الْمَرْأَةِ في أوقاتٍ مخصوصة.

وإذا انقطع دَمٌ حلَّ لها قبل الغسل صومٌ، لا وطءٌ، ولا صلاةٌ.

* ٤ - رابعها: نفاسٌ وهو: دَمٌ حيضٍ مُجْتَمِعٍ في الرحم، يخرج بعد فراغ الولادة من جميع الرحم.

وأقله: لحظةٌ، وغالبه: أربعون يومًا، وأكثره ستون يومًا.

* ٥ - خامسها: موتٌ مُسلم، ولو سقطًا، غير شهيد. أما الشهيد: فيحرم غسله، أي: شهيد المعركة.

* ٦ - سادسها: الولادة، ولو خرج الولد جافًا، فالولادة موجبة للغسل، لأن الجنين دَمٌ متجمع.

* ٧ - سابعها: الإسلامُ إن تقدم عليه موجب، وإلاَّ فيسن له الغسل إذا أسلم.

فَرَضُ الْغُسْلِ شَيْنَانِ:

* ١ - أحدها:

النية. عند أول ما يغتسل كأن يقول: نويت رفع الحدث الأكبر.



فهذه النية تجب على كل من يجب عليه الغسل .

والنية : محلُّها القلبُ .

* ٢ - ثانيها :

تعميمُ ظاهر البدنِ ، فلو كان هناك حائلٌ ، ولو قليلاً لم يُجزىء الغسلُ .

* فيجب إزالةُ الوسخ المتراكم وغيره مما يمنع وصول الماء إليه وتعميمُ البدنِ في الماء ، لأن الجنابةَ أصابَتْ جميعَ أجزاءِ البدنِ من شعر وظفر وغيرهما .

* والبعض جعل الفرائضَ ثلاثةً ، وهي إزالة النجاسة إن كانت على بدنه . وهي شرط لصحة الغسل .

تنبيه :

* يجبُ نقضُ الصفائر إن لم يصلِ الماءُ إلى باطنها إلا بالنقض .

سُنَّه :

* كثيرة ، وهي معظمُ سننِ الوضوءِ يجيءُ مثلها في الغسل .

* ويسن إمرارُ اليدِ على جميعِ البدنِ ، والموالاة ، وتقديمُ اليمنى على اليسرى ، وذلك الجسدُ للخروج من خلاف من أوجب ذلك .

تنبيه :

* يحرمُ على الشخص أن يغتسل بحضرة الناسِ مكشوفَ العورة .

* ويحرم على الحاضرين إقراره على ذلك ، ويجب عليهم الإنكارُ عليه ، ويجوز للمغتسل كشفُ العورة في الخلوة ، والسترُ أفضلُ .

التيمم :

(موجباته، شروطه، فرائضه، وسننه، ومُبطلاته):

فموجباته شيان :

فقد الماء: حساً، أو شرعاً. والمراد به شرعاً: المرض، كأن يخاف من استعمال الماء على منفعة عضو، أو حدوث مرض مخوف، أو حصول شين فاحش في عضو ظاهر كالوجه واليدين.
وأما شروطه فأربعة:

* ١ - العلم بدخول الوقت، فمن تيمم شاكاً بدخوله لم يصح، وإن كان داخلياً...

* ٢ - طلب الماء بعد دخول الوقت إلا في تيمم مرض.

* ٣ - التراب الطهور الذي له غبار، فخرج المتنجس، وكذا المستعمل.

* ٤ - إزالة النجاسة عن بدنه.

وأما فرائضه فخمسة:

* ١ - نقل التراب إلى العضو الممسوح.

* ٢ - النية، ويجب قرنؤها بنقل التراب، وبمسح شيء من الوجه.

* ٣ - مسح الوجه.

* ٤ - مسح اليدين مع المرفقين.

* ٥ - الترتيب، فيجب تقديم مسح الوجه على اليدين كالوضوء.

وسننه:

التوجه للقبلة، والاستياك، وعدم تكرار المسح، والموالة،

وتخفيفُ التراب، وتفريقُ أصابعه في كل ضربة، ونزْعُ الخاتم في الضربة الأولى.

وَمُبْطَلَاتُهُ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

* ١ - الأول:

كُلُّ مَا أَبْطَلَ الْوُضُوءَ، إِنْ كَانَ حَدَثَ أَصْغَرُ، وَإِلَّا فَمَا أَبْطَلَ الْغَسْلَ.

* ٢ - الثاني:

رُؤْيَةُ الْمَاءِ أَوْ تَوْهَمُهُ قَبْلَ الدَّخُولِ فِي الصَّلَاةِ فِيمَا إِذَا كَانَ التَّيَمُّمُ لِفَقْدِ الْمَاءِ.

* ٣ - الثالث:

الرَّدَةُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ وَهِيَ قَطْعُ الْإِسْلَامِ.

فائدة:.

* إِذَا صَلَّى الْفَرَضَ بِهِ، فَلَهُ أَنْ يَتَنَقَّلَ كَيْفَ شَاءَ، وَمَا شَاءَ، وَلَا يَجُوزُ الْجَمْعُ بِهِ بَيْنَ فَرِيضَتَيْنِ، لِأَنَّهُ طَهَارَةٌ ضَعِيفَةٌ.

الحيض والنفاس:

الحيضُ:

* هُوَ دَمٌ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى رَحِمِ الْمَرْأَةِ أَي: يَخْرُجُ مِنْ عَرْقٍ: فَمُهُ فِي أَقْصَى رَحِمِ الْمَرْأَةِ.

والرحم:

* وَعَاءُ الْوَلَدِ، وَهُوَ جِلْدَةٌ عَلَى صُورَةِ الْجَرَّةِ الْمَقْلُوبَةِ، فَبَابُهُ الضِّيقُ مِنْ جِهَةِ الْفَرْجِ، وَوَاسِعُهُ أَعْلَاهُ، وَيُسَمَّى بِأَمِّ الْأَوْلَادِ.

* أقل سنه :

أي : أقل سنٍ يُوجد فيه الحيضُ، تسعُ سنينَ قمرية أي : هلالية، لأن السنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يومًا (٣٥٤).

* أقل الحيض :

يومٌ و ليلة أي : قدرُهما مع اتصال الحيض، وهو أربع وعشرون ساعة.

* والمراد بالاتصال، أن يكون نحو القطنَةِ بحيث لو أُدخلت تلوّثت، وإن لم يخرج الدّم إلى ما يجبُ غسلُه في الاستنجاء.

* أكثر الحيض :

خمسةَ عشرَ يومًا، أي : بلياليها، وإن لم يتصل الدم، لكن بشرط أن تكون أوقاتُ الدماءِ مجموعُها أربعٌ وعشرون ساعةً، فإن لم يبلغ مجموعُها ما ذكر كان الدمُ فسادٍ أي : استحاضة.

* النفاس :

هو دُمُ حيضٍ مُجْتَمِعٍ يخرج بعدَ فراغِ جميعِ الرحم . وأقلُّه : لحظةٌ، أي : مَجَّةٌ.

وغالبه : أربعونَ يومًا، أي : بلياليها، وأكثرُه ستونَ يومًا كما تقدّم.

* * *

المَقْصِدُ الثَّالِثُ فِي أَحْكَامِ الصَّلَاةِ

* (مفروضها):

- * الخمسُ على كل مسلم، بالغ، عاقلٍ.
- * وقتُ الظهر من الزوال إلى زيادةِ ظلِّ الشيءِ مثله، وبه يدخلُ وقتُ العصر.
- * ويُختار إلى مصير الظل مثليه.
- * ويجوز إلى الغروب وبه يدخل وقتُ المغرب.
- * ويجوز إلى مغيب الشفق الأحمر وبه يدخل وقت العشاء.
- * ويُختار إلى ثلث الليل.
- * ويجوز إلى طلوع الفجر الثاني وبه يدخل وقتُ الصبح.
- * ويُختار إلى الإسفار.
- * ويجوز إلى طلوع الشمس.
- * ولا يصاي ما لا سبب له:
- ١ - بعد صلاة الصبح إلى الطلوع، والعصر إلى الغروب.

٢ - وعند الطلوع إلى الارتفاع.

٣ - والاستواء إلى الزوال.

٤ - والاصفرار إلى الغروب.

* و (مسنونها):

١ - العيدان.

٢ - والخسوفان.

٣ - والاستسقاء.

٤ - وركعتان قبل الفجر.

٥ - وقبل الظهر وبعده.

٦ - وبعد المغرب.

٧ - وبعد العشاء.

٨ - والوتر.

* ونُدب زيادة ركعتين قبل الظهر وركعتين بعده، وأربع قبل العصر، والضحي، والتراويح، وصلاة الليل.

* و (أركانها):

١ - النية.

٢ - والقيام.

٣ - وتكبيرة الإحرام.

٤ - والفتحة والتسمية آية منها.

٥ - والركوع.

- ٦ — والاعتدال .
 - ٧ — والسجود مرتين .
 - ٨ — والقعود بينهما .
 - ٩ — والطمأنينة في الكل .
 - ١٠ — والتشهد الأخير .
 - ١١ — والقعود فيه .
 - ١٢ — والصلاة على النبي ﷺ فيه .
 - ١٣ — والتسليمة الأولى .
 - ١٤ — والترتيب .
- * ويُصلي مَنْ عجز في الفرض عن القيام قاعدًا، وعن قعودٍ مضطجعًا .
- * و (أبعاضُها) :
- التشهد الأوَّلُ، والصلاةُ على النبي ﷺ فيه، وقنوتُ الصبح، ووترُ نصفِ رمضانَ الأخيرِ .
- * و (سننُها) :
- ١ — الأذانُ .
 - ٢ — والإقامة قبلَها .
 - ٣ — ورفعُ يديه مع :
 - التحرُّم .
 - والركوع .
 - والاعتدالِ .

- والقيام من التشهد الأول .
- ٤ — ووضعُ يُمناه على كوع يُسراه .
- ٥ — ودعاء التوجه .
- ٦ — والتعوذ .
- ٧ — والتأمين .
- ٨ — والسورة .
- ٩ — والجهر .
- ١٠ — والإسرار، ولا تجهر امرأةً بحضرة رجل .
- ١١ — والتكبير للانتقال .
- ١٢ — والتسميع للاعتدال^(١) .
- ١٣ — والتسبيح في الركوع والسجود .
- ١٤ — ووضع يديه في التشهد على فخذه ناشراً يُسراه قابضاً يُمناه إلا المسبحة .
- ١٥ — والافتراش في الجلسات .
- ١٦ — والتورك في الأخيرة .
- ١٧ — والتسليمة الثانية .
- ١٨ — ونية الخروج من الصلاة .
- ١٩ — ومجافاة الرجل مرفقيه .
- ٢٠ — وإقلاله بطنه في السجود .

(١) بأن يقول سمع الله لمن حمده .

* و (شرودها) :

- ١ - الإسلام.
 - ٢ - وطهر من الحدث والخبث في بدنه وثوبه ومكانه .
 - ٣ - وستر العورة، وهي للرجل ما بين السرة والركبة، وللحرّة غير وجهها وكفيها.
 - ٤ - وعلمه بدخول الوقت .
 - ٥ - واستقبال القبلة، إلّا في قتال وناقلة سفر.
 - ٦ - وترك كلام عمداً.
 - ٧ - وفعل كثير .
 - ٨ - ومفطر .
 - ٩ - وتغير نية؛ وإن نابه شيء سبّح وصفقت .
- * و (مبطلها) : فوات ركن أو شرط .

* (سجدنا السهو) :

سُنة قبل السلام، لسهو ما يبطل عمدّه، ولترك بعض لا سُنة، فإن تذكر ركنًا أتى به وبنى عليه إن قرب الزمان، وإن شك في عددٍ أخذ بالأقلّ وسجد للسهو .

* و (الجماعة)

في غير الجمعة: فرض كفاية يلزم المأموم أن ينويها، وأن لا يتقدم على إمامه، وأن يعلم بصلاته، وأن يقرب منه في غير مسجد بلا حائل . ويؤم صبي لا امرأة لذكر ولا أُمّي لقارىء .



* و (القصر) لصلاة رباعية مؤداة يجوز لمسافر ستة عشر فرسخاً في غير معصية إذا نواه مع التحريم.

* و (يجوز الجمع) بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء وقت أحدهما بشرطه، وللمقيم في المطر وقت الأولى.

و (صلاة الخوف) أنواع:

* فإن كان العدو في غير القبلة فلتحرس فرقة، ثم يصلي بالأخرى ركعة، ثم تتم ويُسَلِّم بها.

* وإن كان في القبلة صفهم صفين، وأحرم بهم، وسجد معه صف وحرس آخر، فإذا رفع سجدوا ولحقوا، وإن اتحم الحرب، صلوا كيف أمكن، ولو إيماءً وركبانا.

و (صلاة الجمعة):

* ركعتان تجب على كل مسلم، مكلف، ذكر، حر، صحيح، مستوطن.

* وشرائطها الأبنية، والجماعة بأربعين بصفة الوجوب، والوقت، فإن خرج صلوا ظهراً، وتقديم خطبتين يجب أن يقوم ويقعد ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله فيهما، ويقعد بينهما، ويقرأ آية في إحداها ويدعو للمؤمنين في الثانية.

و (سُنَنُهَا) :

* الغسلُ، والتنظيفُ، والتطيبُ، ولبسُ الأبيض، وفي الخطبة الإِنْصَاتُ، ويُخفف التحيّة أي: لمن دخل والإمام يخطب.

و (صلاة العيد):

* ركعتان. ويُسنّ التكبيرُ في الأولى سَبْعًا، وفي الثانية خمسًا، سوى تكبيريّ الإحرام، والقيام، وخطبتان بعدها والتكبيرُ ليلتي العيد إلى التحرم بها، وخلفَ الفريضة من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق.

(صلاة الكسوف):

* ركعتان في كل ركعة ركوعان.
* ويُسنّ إطالة القراءة، وتسبيح الركوع والسجود والجهْرُ في الخسوف لا في الكسوف وخطبتان بعدها.

(صلاة الاستسقاء):

* كالعيد ويأمرهم الإمام بالتوبة، وردّ المظالم، وصوم ثلاثة أيام، ثم يخرج بهم في الرابع بثياب بَذْلَةٍ، وتخشع ويُصلّي، ثم يخطب، ويكثرُ من الاستغفار والدعاء.

(غسلُ الديتِ وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه):

* فرضُ كفاية.

* والشهيد في معركة الكفار: لا يُغسّل ولا يُصلّي عليه.

* والسَقَطُ يُغَسَّلُ إِنْ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ إِنْ صَرَخَ.

* وَيُسْنُ إِيتَارُ الْغُسْلِ بِسَدْرِ فِي الْأُولَى وَكَافُورٍ فِي الْأَخِيرَةِ، وَيَكْفَنُ بِثَلَاثَ لِفَائِفَ، وَالْمَرْأَةُ بِإِزَارٍ، وَخِمَارٍ، وَقَمِيصٍ، وَلِفَافَتَيْنِ.

و (فرض الصلاة عليه):

* أَنْ يُكَبَّرَ نَاقِيًا، ثُمَّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ، ثُمَّ يُكَبَّرُ، ثُمَّ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يُكَبَّرُ، ثُمَّ يَدْعُو لِلْمَيِّتِ، ثُمَّ يُكَبَّرُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ.

* وَيَجِبُ دَفْنُهُ مُسْتَقْبِلًا، يُسْنُ فِي لَحْدٍ، وَتَسْطِيحِ الْقَبْرِ بِلَا بِنَاءٍ وَتَجْصِيصٍ.

(التعزية):

* مِنْ دَفْنِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَيَجُوزُ الْبُكَاءُ مِنْ غَيْرِ نَوْحٍ وَشَقِّ ثَوْبٍ.

الشَّرْحُ

الصَّلَاةُ — فُضَائِلُهَا — أَحْكَامُهَا:

هِيَ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ مُفَتَّحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ الْمُقْرُونِ بِالنِّيَّةِ، مُخْتَمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ بِشَرَايِطٍ مُخْصُوصَةٍ.

فَأَقْوَالُهَا الْوَاجِبَةُ خَمْسَةٌ:

* وَهِيَ:

١ — التَّكْبِيرُ.

- ٢ - والفاتحة .
- ٣ - والتشهد الأخير .
- ٤ - والصلاة على النبي ﷺ .
- ٥ - والتسليم الأولى .

وأفعالها الواجبة حامية :

- * وهي :
- ١ - النية .
- ٢ - والقيام .
- ٣ - والركوع .
- ٤ - والاعتدال .
- ٥ - والسجود .
- ٦ - والجلوس بين السجدين .
- ٧ - والجلوس الذي يعقبه السلام .
- ٨ - والترتيب .

وحِكْمَةُ مَشْرُوعِهَا :

* التذللُ، والخضوعُ بينَ يدي الله تعالى، ومناجاتُهُ بالقراءة، والذكرِ، واستعمالُ الجوارح في خدمته فهي: عمادُ الدين، وعصامُ اليقين، ورأسُ القرباتِ، وعِزَّةُ الطاعاتِ^(١).

(١) انظر كتابنا «الصحة القريبة» (٢/١٤٠)، عند قوله: «أرحنا بها يا بلال»، قد بسطنا الحديث عنها، وذكرنا حُكْمَهَا وَأَحْكَامَهَا.

قوله عليه الصلاة والسلام:

«مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذِبٍ غَمَرٍ فِي بَابٍ أَحَدِكُمْ يَفْتَحُهُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قالوا: * لا شيء، فقال عليه الصلاة والسلام: فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَذْهَبُ الذُّنُوبَ كَمَا يَذْهَبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ»^(١).

وقوله عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبَتِ الْكَبَائِرُ»^(٢).
وهي: أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الظَّاهِرَةِ.

أَوْقَاتُ الصَّلَاةِ:

١ - فوقتُ الصبح:

من طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس، وهو المُنْتَشِرُ ضَوْؤُهُ معترضًا بالأفق.

أما الأول فهو أزرق مُسْتَطِيل، ويسمى الكاذب.

٢ - ووقتُ الظهر:

من زوالِ الشمس عن وسط السماء إلى أن يصيرَ ظلُّ الشيء مثله غير ظل الاستواء.

فإذا مالت الشمس إلى جانب المغرب، حدث الظلُّ في جانب المغرب، حيث الظلُّ في جانب المشرق.

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

٣ - وقتُ العصر:

من الزيادة على صيرورة ظلِّ الشيء مثله إلى غروبِ الشمس. فإذا صار ظلُّ كلِّ شيء مثله فهو آخرُ وقتِ الظهر فلا يكاد أن يُعرَفَ إلا بتلك الزيادة.

٤ - وقتُ المغرب:

من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر.
عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - أن سائلاً سأل رسولَ الله ﷺ عن مواقيت الصلاة؟

فصلَّى به يومين: فصلَّى به المغرب في الأوَّل حين غابتِ الشمس.

وصلاها في اليوم الثاني قبل أن يغيب الشفق، ثمَّ قال:

أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟

* فقال الرجلُ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: «وَقْتُ صَلَاتِكُمْ مَا رَأَيْتُمْ»^(١).

٥ - وقتُ العشاء:

إذا غابَ الشفقُ الأحمرُ، وآخَرُهُ في الاختيار إلى ثلث الليل،

وفي الجواز إلى طلوع الفجر الثاني، وهو ما عليه النتائج^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر كتابنا «الصحوة القريبة»، الطبعة الخامسة، ص ١٤٠ تحت عنوان «أرحنا بها يا بلال» الجزء الثاني، فقد ذكرنا فيه ثمرات الصلاة، وأنها الدواء الناجع، فعد إليه، تجد ما يسرك والحمد لله.

تنبيه:

ووقتُ الفضيلةِ لهذه الصلواتِ، أولُ وقتِها إلى أن يمضي قدرُ ما يسعُ الأكلَ بقدرِ الشبعِ الشرعي، ولبسَ الثيابِ، وقضاءِ الحاجةِ، والتطهيرِ، والأذانَ والإقامةَ، وصلاةَ الفرضِ ورواتبه.

والعبرة في ذلك، بالوسط المعتدل من غالب الناس.
وسمي فضيلةً، لأن إيقاعَ الصلاةِ فيه ثوابًا أكثر مما بعده.

الأوقاتُ المَكْرُوهةُ:

الأوقاتُ التي تكره الصلاةُ التي لا سببَ لها فيها خمسة:

* ١ - : وهي وقتُ طلوعِ الشمسِ، حتى ترتفعَ قدرَ رمح، وهذا هو الصحيح المعروف.

وفي وجه تزول الكراهةُ بطلوعِ قرصِ الشمسِ بتمامه ويقال لها على هذا القول الإشراق.

* ٢ - : وقت الاستواءِ حتى تزولَ الشمسُ عن كبدِ السماء.

* ٣ - : وعند الاصفرارِ حتى يتم غروبُها.

وحجةُ ذلك ما رواه مسلم:

عن عقبة بنِ عامر - رضي الله عنه - قال: ثلاثُ ساعاتٍ كان ينهانا رسولُ الله ﷺ أن نصليَ فيهنَّ، أو نقبرَ فيهنَّ موتانا.

* ١ - : حينَ طلوعِ الشمسِ بازغةً حتى ترتفعَ.

* ٢ - : وحينَ يقومُ قائمُ الظهيرةِ.

* ٣ - : وحينَ تضيفُ الشمسُ إلى الغروب^(١).

(١) ومعنى تضيف: تميل، ومعنى الدفن: المراد به، أن يترقب الإنسان هذه الأوقات لأجل دفن الموتى فيه، وهذا يبعد بالنسبة لزمنا.

* ٤ - : وبعد العصر حتى تغرب الشمس .

* ٥ - : وعند الغروب حتى يتكامل .

صلاة العِيدَيْن :

* أي : العید الأكبر والأصغر ، وهما مما تسن فيهما الجماعة ، وهذه الصلاة من خصوصيات هذه الأمة .

وَأَوَّلُ عِيدٍ صلاه النبي ﷺ عيدُ الفطر في السنة الثانية من الهجرة .

وكذلك عيدُ الأضحى شُرِع في السنة المذكورة .

* وصلاة عيدِ الأضحى : أفضل من صلاة الفطر ، لثبوتها بنص

القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ۖ ﴾^(١) .

والعيدُ :

* مأخوذٌ من العود لتكرره ، وعوده كلَّ عام ، أو لأن الله يعود على

عباده فيه بالسرور والفرح^(٢) .

وقتها :

* بين طلوع الشمس وزوالها ، وهما ركعتان بالإجماع .

ويكبر سبْعاً بعد تكبير الإحرام في الأولى ، وخمساً في الثانية ، قَبْلَ

التعوذ والقراءة .

ولا يُتدارك التكبيرُ في الثانية ، إن تركه في الأولى .

(١) من سورة الكوثر : الآية ٢ .

(٢) انظر كتابنا «الصحوة القريبة» ، الطبعة الخامسة ، تحت عنوان «يوم الفطر»

ص ٤٥٣ ، و «يوم الأضحى» ص ٤٦٥ الجزء الأول ، فقد ذكرنا فيه بهجة العيد

ومآسيه وهو موضوع اجتماعي مفيد إن شاء الله تعالى .

صلاة الكسوفين :

* أي: كسوف الشمس، وكسوف القمر، ويُعبر عنهما بالكسوفين.

وفي قول آخر: بالكسوف للشمس، والخسوف للقمر.

وهما من السنن المؤكدة: للأخبار الصحيحة في ذلك.

منها قوله عليه الصلاة والسلام:

إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ:

فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله، والصلاة.

قال ذلك لما مات ولده إبراهيم وكسفت الشمس^(١).

فقال الناس: إنما كسفت لموته.

وأقلها: ركعتان كسنة الظهر، وأدنى كمالها: زيادة قيام، وقراءة، وركوع في كل ركعة، بخطبتين بعدهما.

صلاة الاستسقاء :

* عند الحاجة إلى الماء، أو لفقده، أو ملوحته، أو قلته.

وهي كصلاة العيد، لكن يستغفر الخطيب بدل التكبير.

يستغفر سبعاً في الركعة الأولى، وخمساً في الثانية، بأن يقول:

«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

والاستغفار هنا: أليق بالحال، ولخبر الترمذي وغيره:

مَنْ قَالَه غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثَرَ مِنْهُ.

(١) أي: على طريق الصدقة.

ومنه قوله تعالى:

* ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ مَجَنَّدًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (١).

رُكْعَتَا الْفَجْرِ:

- * لخبر مسلم: «رُكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».
- * ولخبر البيهقي: «لَا يُحَافِظُ عَلَى رُكْعَتِي الْفَجْرِ إِلَّا أَوَّابٌ».
- * وَيُسَنُّ تَخْفِيفُهَا، وقراءة الكافرون والإخلاص، أو: ألم نشرح وألم تر، ويندب الاضطجاع بينهما وبين الفرض (٢).

سنة الظهر:

وذلك لخبر:

* «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رُكْعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ».

ولا بدَّ هنا من نية القبليَّة والبعديَّة ككُلِّ صلاة لها قبليَّة وبعديَّة.
ومَنْ ذَكَرَ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ فَحَجَّتْهُ مَا رَوَى البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ: «كَانَ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ».

فائدة:

* يجوزُ وصلُ الأربعةِ بسلامٍ واحدٍ، وفصلُها، لكنَّ الفصلَ أفضلُ ومجموعُها ثمانُ رُكْعَاتٍ: ثنتان مؤكدتان قبل الظهر، وثلثان غيرُ مؤكدة وكذلك بعدها.

(١) من سورة نوح: الآيات ١٠ - ١٢.

(٢) ويتذكر ضجعة القبر.

سُنَّةُ الْعَصْرِ:

لخبر الترمذي:

* عن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا. وقال: إنه حديث حسن.

وروي: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(١).

وله جمعها بإحرام واحدٍ وسلام، وكذلك بتشهد، أو تشهدين وفصلها بإحرامين وسلامين وهو الأفضل.

سُنَّةُ الْمَغْرِبِ:

لخبر:

* «مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُتِبَ فِيهِ عِلِّيْنِ»^(٢).

* وَيُسَنُّ أَنْ يَقْرَأَ فِيهِمَا سُورَةُ الْكَافُرُونَ وَالْإِخْلَاصَ.

* وَتُذَبُّ وَصَلُهُمَا بَعْدَ الْفَرَضِ مَبَاشَرَةً لَضِيقِ وَقْتِهِ.

ولخبر:

* «عَجِّلُوا الرِّكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ لِتَرْفَعَا مَعَ الْعَمَلِ».

* وَلَا يَفُوتُ فَضِيلَةُ الْوَصْلِ بِإِتْيَانِهِ قَبْلَهُمَا الذِّكْرَ الْمَأْثُورَ بَعْدَ

المكتوبة.

* وَيُسَنُّ رَكْعَتَانِ قَبْلَهُمَا، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: الصَّحِيحُ

استحبابُهما.

(١) قال الترمذي حسن، وصححه ابن حبان.

(٢) روى عن مكحول مرسلًا.

ففي صحيح البخاري :
«صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ» قال في الثالثة : لمن شاء .

وفي مسلم :
* كانوا يبتدرون السواريَ لهُمَا إِذَا أَذَّنَ الْمَغْرِبُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ
لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صَلَّيْتُ لِكَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيْهَا .

سُنَّةُ الْعِشَاءِ :

لما رواه الشيخان عن محمد بن المنكدر قال :
«صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ» .
وقبلها : وذلك لحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ — رضي الله تعالى عنه —
قال : «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ ، قال في الثالثة : لِمَنْ
شَاءَ»^(١) .

والمراد بالأذنين : الأذان والإقامة باتفاق العلماء .

صَلَاةُ الْوُتْرِ :

لخبر :

* «الْوُتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتَرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ،
أَوْ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ ، أَوْ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ»^(٢) .

وهو واجب عند الإمام أبي حنيفة .

وهو أفضل من جميع الرواتب للخلاف في وجوبه .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح .



* وأقله: ركعة وإن لم يتقدّمها نفلٌ من سنة العشاء، أو غيرها، قال في المجموع: وأدنى الكمال ثلاث.

* وأكمل منه خمس.

* فسبع.

* فتسع.

* وأكثره: إحدى عشر ركعة.

ولا يجوز الزيادة عليها بنية الوتر.

وأن يقول بعد الوتر ثلاثاً: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، ويقول بالثالثة:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

وقته:

* ووقت الوتر كالتراويح بين صلاة العشاء ولو بعد المغرب في جمع التقديم إلى طلوع الفجر الثاني.

مهمة:

* يُسَنُّ لِمَنْ وَثِقَ بيقظته قبل الفجر بنفسه، أو بغيره، أن يؤخر الوتر عن أول الليل، وإن فاتت الجماعة فيه بالتأخير في رمضان.

لخبر الشيخين:

«اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا».

ولمن لا يثق بنفسه باليقظة أن يُعَجِّلَهُ، ولكل دليل ووجهة، رضي الله تعالى عن الجميع، ورزقنا حسن التوفيق.

صلاة الضحى:

* ومنه صلاة الضحى، ووقتها من ارتفاع الشمس كرمح إلى الزوال، وأقلها ركعتان، وأفضلها ثمان، وأكثرها اثنا عشر. وقيل: لا حد لأكثرها.

وورد:

* «مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

صلاة التراويح:

ووقتها: من صلاة العشاء - ولو تقديمًا - إلى طلوع الفجر، فصحتها متوقفة على فعل العشاء.

* وإنما سميت هذه الصلاة بالتراويح، لأنهم كانوا يترَوِّحون أي: يستريحون في صلاتها لطول قيامهم بعد كل أربع ركعات منها.

* وليحذر من التخفيف المُفْرِط الذي يعتاده كثير من الجهلة في صلاة التراويح.

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

صلاة الليل:

* ومنه قيام الليل، وإذا كان بعد النوم، وفعل العشاء يسمى تهجدًا، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه.

وورد:

* «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»^(١).

فالقيام: ركن من أركان الصلاة، وهو أفضلها لاشتماله على أفضل الأذكار وهو القرآن، ويليهِ في الفضل السجود لحديث:
«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).

* فالقيام فرض على القادر في فرض الصلاة، ولو كانت مندورة، أو معادة فيجب فيه القيام.
ولعاجز شقَّ عليه القيام، بأن لحقه مشقة شديدة لا تُحتمل عادةً، صلاةً قاعدًا.

والأصل في ذلك خبر البخاري:

أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمران بن حصين رضي الله تعالى عنه:
— وكانت به بواسير — .

«صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».
زاد النسائي:

* «إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمُسْتَلْقِيًا، لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا».
وأما النفل:

* فيجوز أن يصلي قاعدًا ولو مع القدرة، وله نصف أجر القائم.

(١) رواه الترمذي وأحمد والحاكم.

(٢) رواه مسلم.

وإنَّما سُمِّيَتْ أبعاضاً، لأنها لما تأكَّدْتُ بالخبر، أشبهت البعض الحقيقي.

فالصلاة: تشتمل على أركانٍ، وأبعاضٍ:
فالركن: لا بدَّ مِنْ فِعْله، لا يُجْبَرُ بالسجود للسهو: كالقيام،
والركوع، وقراءة الفاتحة وغيرها.

وأما البعض: كالشهاد الأول، والصلاة على النبي ﷺ فيه.
فلو قام المصلي لثالثة عمداً أو سهواً صحَّت الصلاة، وعليه سجودُ
السهو.

وكذلك القنوت في صلاة الصبح، لو تركه المصلي وهوى إلى
السجود، صحَّت صلاته، وعليه سجودُ السهو.
وسجودُ السهو: سنة لا غير.

تنبيه:

* فلو تلبَّس المصلي في القيام، يحرم عليه العودُ إلى التشهد، فإن
عاد عالماً عامداً بطلت صلاته.

وكذلك القنوت، فلو تلبَّس المصلي في السجود، يحرم عليه العودُ
إلى القيام، فإن عاد عالماً عامداً بطلت صلاته.

وهذه أحكام دقيقة، ينبغي الوقوفُ عليها وفهمها.

الأذان والإقامة:

فالأذان والإقامة:

* من خصوصيات هذه الأمة المحمدية. وشُرِعَ الأذانُ والإقامة،
في السنة الأولى من الهجرة، وهما مُجمَعٌ عليهما.

والأذان: أفضلُ من الإقامة وإن ضُمَّتْ إليها الإمامة على الراجح، فإن قيل: إنه عليه الصلاة والسلام، كان يؤم ولم يؤذن، أجيب بأنه عليه الصلاة والسلام كان مشغولاً بما هو أهم، أو أنه لو أذن لوجب الحضور على كل من سمعه.

والأذان: أفضلُ من الإمامة على قول، لأنه ورد:

* «أَنَّ الْمُؤَذِّنَ أَمِينٌ وَالْإِمَامُ ضَمِينٌ، وَالْأَمِينُ أَشْرَفُ».

والأذان من الشرائع الظاهرة، وفي تركه تهاون بالدين، وعليه فيقاتل أهلُ بلد تركوهما.

خلاصة:

* فالصلاة: تحتوي على

١ - أركان.

٢ - وأبعاض.

٣ - وهيئات.

* فالركن: لا تصح الصلاة بدونه.

* والبعض: يُجبرُ بسجود السهو.

* والهيئة: من السنن الكمالية، يؤجر على فعلها، ولا يؤاخذ على

تركها، ولا يسجد للسهو بتركها، فإن سجد تبطل الصلاة.

* والمؤلف رحمه الله تعالى قد استقصى بكتابه ذكرَ الهيئات،

بعبارات موجزة، فإن أردت التوسع في ذلك فعد إلى الموسوعات الفقهية.

* والشرط:

في اللغة:

* العلامة ومنه: أشرط الساعة.

وفي الاصطلاح:

* ما يلزم من عَدَمِهِ عدمُ الصحة، وليس بركنٍ وهو: خارج الماهية.

فالإسلام:

* شرطٌ أساسي لكل عبادة: سواء في ذلك الوسائل أو المقاصد.

والطهارة: مُجْمَعٌ على وجوبها، «وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ بِغَيْرِ طَهُورٍ».

فلو صلى بغير طهارة، لم تنعقد صلاته: عامداً، أو ناسيًّا.

والطهارة عن الحدث، بأنواعه أي:

١ - الأصغر،

٢ - والأكبر،

٣ - والمتوسط:

* شرطٌ لصحة الصلاة.

* نعم؛ فاقْدُ الطهورين أعني: الماء والتراب، تصحُّ صلاته

المفروضة فقط لحرمة الوقت ومع ذلك تبطل بطرؤ حدثٍ عليه.

ويجب عليه إعادتها إذا وجد أحدهما، أعني الماء أو التراب.

* وكما تجب الطهارة عن الحدث، تجبُ عن الخبث أي: النجسِ

الذي لا يُعْفَى عنه في:

١ - الثوب.

٢ - والبدن.

٣ - والمكان.

* وكذلك سترُ العورة: شرطٌ من شروط صحة الصلاة عند القدرة عليه، وإلاَّ صَلَّى عاريًا، وأتمَّ ركوعه وسجوده ولا إعادة عليه.

والمرادُ سترُها ولو خاليًا أو في ظلمة.

* وشرطٌ في الساتر أن يكون جرمًا يمنع إدراك لون البشرة، بأن يُعرفَ بياضُها من سوادها.

* وكذلك يُشترطُ لصحة الصلاة، استقبالُ القبلة أي: الكعبة الشريفة.

والمعتبر: استقبالُ عينها يقينًا في القرب، وظنًا في البُعد، فلا يكفي استقبالُ جهتها على المعتمد في مذهبنا.

ويسقط الاستقبالُ في حالين:

١ - : في شدة الخوف في قتال الأعداء.

٢ - : والنافلة في السفر.

* ويُشترط لصحة الصلاة، عدمُ النطق بكلام غير قرآن، وذكر،

ودعاء؛

لخبر مسلم:

* عن زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - أنه قال:

* كُنَّا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

فأمرنا بالسكوت، ونُهيَنا عن الكلام.

ولا خلاف بين أهل العلم، أنَّ من تكلم في صلاته عامدًا عالمًا

بطلت صلاته، ولا فرق في الكلام بين أن يكون كثيرًا، أو قليلًا.

ويشترط لصحة الصلاة، الكَفُّ عن العمل الكثير عمدًا أو سهوًا،

وليس من تحريك جميع البدن، ما لو مشى خطوتين.

أما الثلاث: إذا كانت متوالية فتفسد الصلاة.

وكذلك هزُّ الرأس، وتحريكُ اليد إذا كان على التوالي، مبطلٌ للصلاة.

ويُشترط لصحة الصلاة، الكفُّ عما يُبطلُ الصومَ للصائِم، ومنه وصولُ عينِ جوفه عَمْدًا وَإِنْ قَلَّتْ.

والحاصل:

* أَنْ كُلَّ مَا أَبْطَلَ الصَّوْمَ أَبْطَلَ الصَّلَاةَ غَالِبًا، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أَبْطَلَ الصَّلَاةَ أَبْطَلَ الصَّوْمَ:

* فَإِنَّ الْمَأْكُولَ الْكَثِيرَ مَعَ النِّسْيَانِ، لَيْسَ مُبْطِلًا لِلصَّوْمِ، وَالْقَلِيلَ مُبْطِلٌ لِلصَّلَاةِ.

* وَيَشْتَرُطُ لَصَحَّةِ الصَّلَاةِ عَدَمُ تَغْيِيرِ النِّيَّةِ: كَأَنْ يَنْوِيَ الْخُرُوجَ مِنَ الصَّلَاةِ، أَوْ يَتَرَدَّدَ فِيهِ، أَوْ يَنْوِيَ قَلْبَ الصَّلَاةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا لَصَلَاةٍ أُخْرَى.

* وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَجْرِي فِي الْفِكْرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُتَنَلَّى بِهِ؛ حَتَّى فِي الْإِيمَانِيَّاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُوَاخِذُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ.

فائدة:

* وَإِذَا نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهِ: فَإِنْ كَانَ ذِكْرًا سُنَّ لَهُ أَنْ يُسَبِّحَ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سُنَّ لَهُ أَنْ يُصَفِّقَ.

* وَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ بِضَرْبِ بَطْنِ الْكَفِّ الْأَيْمَنِ عَلَى ظَهْرِ الْأَيْسَرِ. فَلَوْ صَفَّقَ الذِّكْرُ، وَسَبَّحَتِ الْأُنْثَى جَازَ مَعَ مَخَالَفَةِ السَّنَةِ.

وَلَا بَدَّ مِنَ التَّسْبِيحِ مِنْ قَصْدِ الذِّكْرِ، لَا إِعْلَامِ الْإِمَامِ وَهُوَ الْأَصَحُّ^(١).

(١) لَكِنْ يَفْتَقِرُ هَذَا فِي حَقِّ الْعَوَامِ لِدَقَّتِهِ.

ومما يُفسدُ الصَّلَاةَ:

- * ١ — الحدثُ بأنواعه الثلاثة المتقدّمة.
- * ٢ — وحصولُ نجاسةٍ غيرِ معفوٍ عنها رطوبةً كانتُ أو يابسةً.
- * ٣ — وانكشافُ العورةِ كُلِّها أو بعضها.
- * ٤ — النطقُ بحرفٍ مُفهمٍ فما فوق.
- * ٥ — والعملُ الكثيرُ عمدًا أو سهوًا.
- * ٦ — ما أفطرَ الصائمَ، وهو وصولُ عينٍ ولو قليلةً جَوْفَهُ.
- * ٧ — التحوُّلُ عن القبلة بصدّره.
- * ٨ — زيادةُ ركنٍ فِعْلِيٍّ عمدًا يقينًا لغير متابعةٍ.

سجود السهو:

أسبابُ سجودِ السَّهْوِ خَمْسَةٌ:

- * ١ — تركُ الأبعاضِ — عمدًا أو سهوًا — سببٌ لسجود السهو.
- * ٢ — الشكُّ في تركها، فلو شكَّ: هل أتى بالقنوت، أو التشهد الأول، أو لا؟

* سجدَ للسهو، لأن الأصلَ عدمُ الإتيانِ به.

* ٣ — نقلُ الركنِ القولي إلى غير محله وذلك كالفاتحة، والتشهد الأخير.

- * ٤ — الإتيانُ سهوًا بما يُبطلُ عمدُهُ.
- * ٥ — إيقاعُ فعلٍ مع الترددِ في زيادته حالَ فعله، فلو تردد في ترك شيءٍ كركوعٍ وسجودٍ، أو ركعةٍ، أتى به وسجدَ للسهو.

الجماعة :

* هي من خصائص هذه الأمة، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى جماعةً من البشر رسولُ الله ﷺ.

* وأوَّلُ فِعْلِهَا كان بمكة، وإظهارُها بالمدينة.
وَحِكْمَةُ مشرُوعِهَا :

* حصولُ الإلفة بينَ المصلين، ولأنَّ قد يتعلم الجاهل من العالم ما يجهله من الأحكام.

* ولأنَّ مراتبَ الناسِ متفاوتةٌ في العبادة، فتعود بركةُ الكاملِ على الناقصِ.

* ولأنَّ المذنب إذا اعتذر إلى سيده يجمع الشفعاء ليقبله.

* ولأنَّ الصلاة ضيافةٌ ومائدةٌ برِّ، والكريم لا يضعُ مائدته إلاَّ لجماعة.

* ولأنَّ صلاةَ الجماعةِ «أفضلُ من صلاةِ الفذ بسبع وعشرين درجة».

* ولأنَّ مَنْ صَلَّى أربعينَ يومًا في جماعة، يُدركُ التكبيرَ الأوليَ كُتِبَ له بَرَاءَتَانِ :

١ - براءةٌ مِنَ النَّارِ.

٢ - وبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ.

* وتكون واجبةً وذلك : كالجمعة، والمُعَادَةِ، والمجموعةِ بالمطر، والمنذورِ جماعتُها.

* وتكون حرامًا؛ فيما إذا ضاق الوقتُ، بحيث لو صَلَّى منفردًا أدركَها في الوقت، ولو صَلَّى جماعةً أدركَ بعضها.

- * وتكون مكروهة، كالصلاة خلف مبتدع.
- * وتكون مستحبة، كالنساء والمسافرين، والعراة.
- وللجماعة شروط تُطلب من الموسوعات الفقهية^(١).

القصر والجمع:

- * القصر: مجمعٌ عليه، بخلاف الجمع، فيه خلافٌ بين الأئمة: فمن مجيزٍ ومنع.

روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال:

- * صَحِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ كَذَلِكَ^(٢).

وعن يعلى بن أمية قال: قلتُ لعمر بن الخطاب:

- ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣)، فقد أَمِنَ النَّاسُ.

قال عمر: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

صَدَقَهُ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوا صَدَقَتَهُ^(٤).

(١) لأن المجال هنا لا يساعد أكثر من هذا.

(٢) متفق عليه.

(٣) من سورة النساء: الآية ١٠١.

(٤) رواه الجماعة إلا البخاري.

شروطُ القصرِ خَمْسَةٌ:

* ١ - الأول: النية.

* ٢ - الثاني: العلمُ بجوازِهِ، وكيفيته.

* ٣ - الثالث: دوامُ السفرِ في جميعِ صلاتِهِ.

* ٤ - الرابع: عدمُ الاقتداءِ بمن جُهِلَ سفرُهُ.

* ٥ - الخامس: التحرزُ عَمَّا ينافي نيةَ القصرِ في دوامِ صَلَاتِهِ:

بأن لا يأتِيَ بما ينافيها إلى السلام، فإن عرض منافٍ لها: كأن نوى الإتمامَ في أثناءِ صلاتِهِ، أو تردّد في أنه يقصر أو يتمّ لزمه الإتمامُ.

شروط جمع التقديم خمسة:

* ١ - الأول: اعتقادُ وَظَنُ صحّةِ الأولى.

* ٢ - الثاني: البدءُ بها أي: بالأولى، لأنها صاحبةُ الوقت،

والثانيةُ تابعةٌ لها.

* ٣ - الثالث: نية الجمع فيها أي: في الأولى.

* ٤ - الرابع: الموالاةُ بين الأولى والثانية.

* ٥ - الخامس: دوامُ السفرِ إلى عَقْدِ الثانيةِ والشروعِ فيها.

وشروطُ جَمْعِ التأخيرِ اثنان:

* ١ - الأول: نيةُ التأخيرِ في الأولى لأجل الجمع: بأن يقصدَ

إيقاعها في وقت الثانية.

* ٢ - الثاني: دوامُ السفرِ إلى تمامِ الصلاتين، فلو انتهى سفرُهُ

قبلَه بَطَلَ الجمعُ فصارتِ التابعةُ وهي الظهر، أو المغرب قضاءً لا إثمَ فيه.

س: هل هناك دليل للشافعية في ذلك؟

ج: نعم؛ روي عن معاذ - رضي الله تعالى عنه - أنَّ النبي ﷺ

- * كَان فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ إِذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ أَي: تَمِيلُ عَنْ خَطِّ الاسْتَوَاءِ أَخْرَحْتُ يَجْمَعُهَا أَي: مَعَ الْعَصْرِ يَصْلِيهِمَا جَمِيعًا.
- * وَإِذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ الْمَغْرَبِ، أَخْرَحَ الْمَغْرَبَ حَتَّى يَصْلِيَهَا مَعَ الْعِشَاءِ.
- * وَإِذَا ارْتَحَلَ بَعْدَ الْمَغْرَبِ عَجَّلَ الْعِشَاءَ فَصَلَّاهَا مَعَ الْمَغْرَبِ^(١).

صَلَاةُ الْخَوْفِ:

والأصل في مشروعيتها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّذ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(٢).

ومشروعيتها باقية إلى يوم القيامة، ويُطَلَبُ فِيهَا مَا يَطْلُبُ فِي صَلَاةِ الْأَمْنِ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالسَّنَنِ، وَالشُّرُوطِ وَعَدَدِ الرُّكْعَاتِ.

* وهذه الآية: خطابٌ للنبي ﷺ، وهو يتناول الأمراء والحكام بعده إلى يوم القيامة، وأن الصلاة لا تسقط بعذر السفر، ولا بعذر الجهاد، أو قتال العدو، ولكن فيها رخص وكيفيات.

سَبَبُ إِسْلَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ:

* رَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الزَّرْقِيُّ قَالَ: كُنَّا مَعَ

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) من سورة النساء: الآية ١٠٢.

رسول الله ﷺ بَعَسَفَانِ فَاسْتَقْبَلَنَا الْمُشْرِكُونَ، عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ.

* فَقَالُوا - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - : قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرَّتَهُمْ.

* قَالَ: ثُمَّ قَالُوا: تَأْتِي الْآنَ عَلَيْهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أُنْبَاءِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.

* قَالَ: فَتَزَلَّ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ:

* وَهَذَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِ خَالِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ، لِمَا رَأَى مِنْ حِرْصِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى شَعَائِرِ دِينِهِمْ، وَإِحْيَاءِ أَوَامِرِ رَبِّهِمْ، مُتَمَسِّكِينَ بِهَذَا فِي أَخْرَجِ الْأَوْقَاتِ، وَأَخْطَرِ الْحَالَاتِ، انْفَتَحَ قَلْبُهُ لِلْإِسْلَامِ.

* وَهَذَا خُطَابٌ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَمْتُهُ دَاخِلَةٌ فِيهِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾^(١).
* وَذَلِكَ لَا يُوْجِبُ الْاِقْتِصَارَ عَلَيْهِ وَخَذَهُ، وَأَنْ مَنْ بَعْدَهُ يَقُومُ فِي ذَلِكَ مَقَامَهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الْآيَةُ عَدَّ إِلَيْهَا وَاقْرَأَهَا عَلَى مَهْلٍ.

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ :

* هِيَ رَكْعَتَانِ فَرَضُ عَيْنٍ، وَعِلْمُهَا مِنَ الدِّينِ ضَرْوَرِي، يَكْفُرُ جَاحِدُهَا، وَيَفْسُقُ تَارِكُهَا، فَلَيْسَتْ بَدَلًا مِنَ الظُّهْرِ^(٢).

(١) مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ ١٠٣.

(٢) فَهِيَ صَلَاةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لَهَا أَحْكَامُهَا وَحُكْمُهَا. انْظُرْ كِتَابَنَا «الصَّحُوحَةُ الْقَرِيبَةُ» الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، ص ٤٧٦، الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ، فَقَدْ تَنَاوَلْنَا هَذَا الْمَوْضُوعَ تَنَاوُلًا جَيِّدًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وهي مفروضة على كل مكلف: فلا تجب على

١ - صبي.

٢ - ومجنون.

٣ - ونائم غير متعدي بنومه.

٤ - ولا مغمى عليه.

٥ - ولا على سكران غير متعدي أيضاً بسكره، لأن خطاب الوجوب لا يتناولهم، فهؤلاء لا تلزمهم الظهر بعد إفاقتهم، لأنها ليست بدلاً منه، ولا عوضاً عنه.

شروط الجُمُعَةِ:

* ١ - الذكورة، فلا تجب على المرأة.

* ٢ - الحرية، فلا تجب على العبد الرقيق.

* ٣ - الخلو من العذر أي: المسقط للجماعة وذلك: كمطر غزير، ووحل كثير، ومرض ثقيل، وحبس مُنِعَ فيه من الخروج، وأعمى لم يجد قائدًا، فهؤلاء وأمثالهم يصلون الظهر.

* ٤ - الإقامة، فلا تجب على مسافر، ولكن تصح منه.

فائدة:

الناس في الجمعة ستة أقسام:

* ١ - الأول: مَنْ تجب عليه، وتصحُّ منه، وتنعقد به وهو: كلُّ مستوطنٍ مكلفٍ.

* ٢ - الثاني: مَنْ تجب عليه، وتصحُّ منه، ولا تنعقد به وهو: المقيمُ أعني: غير المستوطن.

* ٣ - الثالث: مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ، وَلَا تَصِحُّ مِنْهُ، وَلَا تَنْعَقِدُ بِهِ
وهو: المرتد لأن الردة لَا تُسْقِطُ التَّكْلِيفَ، فلو عاد للإسلام يجب عليه
قضاء ما فاتته من فروض.

* ٤ - الرابع: مَنْ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ، وَلَا تَصِحُّ مِنْهُ، وَلَا تَنْعَقِدُ بِهِ،
وهو: الكافر الأصلي.

* ٥ - الخامس: مَنْ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْعَقِدُ بِهِ، وَتَصِحُّ مِنْهُ
وهو: الصبي، والمرأة، والمسافر.

* ٦ - السادس: مَنْ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ، وَتَنْعَقِدُ بِهِ، وَتَصِحُّ مِنْهُ وَهُوَ:
مَنْ بِهِ عَذْرٌ مِنَ الْأَعْذَارِ الْمَارَةِ^(١).

آدَابُ الْجُمُعَةِ:

* وَمِنْ آدَابِ الْجُمُعَةِ:

تنظيفُ الجسدِ، وغَسْلُ الثيابِ، واستعمالُ ما له رائحةٌ طيبة.

قال إمامنا الشافعي - رضي الله تعالى عنه - :

«مَنْ نَظَّفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ، وَمَنْ طَابَ رِيحُهُ زَادَ عَقْلُهُ».

* وَمِنْ آدَابِ الْجُمُعَةِ:

إزالةُ شعرِ الإبطِ، وقصُّ الشاربِ، وحلقُ العانةِ، وتقليمُ الأظفارِ،
والتزُّيُّنُ بأحسنِ الثيابِ، والاعتسَالُ.

للحديث الشريف:

* «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ
إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَغْنَأَ النَّاسَ، ثُمَّ صَلَّى مَا كَتَبَ

(١) هذه أقسام علمية جيدة، أعد النظر فيها، وادع لجامعها.



اللَّهُ لَهُ أَيُّ: مَا طُلِبَ مِنْهُ مِنْ صَلَاتِهِ: كَالْتَحِيَّةِ، وَسَنَةِ الْوُضُوءِ، وَسَنَةِ الْغُسْلِ مَعَ الضَّحَى إِنْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُهَا.
ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا». وفي رواية:

* «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَحْسَنَ الْغُسْلَ، وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ الطُّهُورَ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ مِنْ طِيبٍ، أَوْ دُھْنٍ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى»^(١).

الْجَنَائِزُ:

* إِعلم أَنَّ الْمَوْتَ مَفَارِقَةُ الرُّوحِ الْجَسَدِ، وَالْمَيِّتُ هُوَ الْجَسَدُ الَّذِي فَارَقَتْهُ الرُّوحُ.

* وَالرُّوحُ: هِيَ لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَهَا وَحَقِيقَتَهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسْئَلُونَا عَنْ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢).

* وَيَتَأَكَّدُ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ أَنْ يُكْثَرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

* «اسْتَخِيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ!! قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ:

(١) رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه والحاكم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

(٢) من سورة الإسراء: الآية ٨٥.

* قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ:
 * فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى.
 * وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى.
 * وَلْيَتَذَكَّرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى.
 * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ يَتْرُكْ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» (١) (٢).

الْوَصِيَّةُ:

* تُسَنُّ الْوَصِيَّةُ لِلْحَيِّ عَلَيْهَا، وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
 * «مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ مَاتَ عَلَى سَبِيلٍ، وَسُنَّةٍ، وَتَقَى، وَشَهَادَةٍ،
 وَمَاتَ مَغْفُورًا لَهُ».

* وقد تجبُ إن كان هناك حقوقاً له أو عليه.

أَدَبُ الْمَرِيضِ:

* يُسَنُّ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَصْبِرَ وَلَا يَجْزَعَ، وَلَا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ.
 * وَيُسَنُّ أَنْ يَقُولَ إِذَا أَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ:
 * اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، وَسَكَرَاتِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي،
 وَارْحَمْنِي، وَالْحَقِّنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى.
 * وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُوصِيَ أَهْلَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى مُصِيبَتِهِمْ بِمَرْضِهِ،
 أَوْ بِمَوْتِهِ.

(١) رواه الترمذي بإسناد حسن.

(٢) انظر كتابنا «الصحوة القريية»، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، ص ١١٠ تحت عنوان: «وفاة رسول الله ﷺ» والغفلة المؤلمة، والمصيبة الفادحة تجد ما يسرك.

* وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي وَصِيَّتِهِمْ بِتَرْكِ الْبُكَاءِ مَعَ النَّوْحِ .
وَأَنْ يَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِهِمْ ، وَيَتَّعِدُوا عَنْ أَعْمَالٍ تُغْضِبُ اللَّهَ تَعَالَى
مِنْ فِعْلِ حَرَامٍ ، أَوْ مَكْرُوهٍ .

الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ :
أَرْكَانُهَا : سَبْعَةٌ ، لَا بَدَأَ مِنْ مَرَاعَاتِهَا ، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا .

* ١ - الْأَوَّلُ :

النِّيَّةُ ، وَيَجِبُ فِيهَا

١ - الْقَصْدُ .

٢ - وَالتَّعْيِينُ .

٣ - وَالفَرَضِيَّةُ ، كَبَاقِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ .

* وَيُسْنُ النَّطْقُ بِالنِّيَّةِ قَبْلَ التَّكْبِيرِ ، وَالْإِضَافَةُ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَذِكْرُ
الاسْتِقْبَالِ ، وَعَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ .

* وَلَا يَجِبُ تَعْيِينُ الْمَيِّتِ ، وَلَا مَعْرِفَتُهُ^(١) .

* ٢ - الثَّانِي :

الْقِيَامُ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا وَجِبَ الْقِيَامُ لِأَنَّ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ فَرَضٌ ،
كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ .

* وَقِيلَ : يَجُوزُ فِيهَا الْقُعُودُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، كَالنَّوَافِلِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ
فَرَائِضِ الْأَعْيَانِ .

(١) وَإِذَا كَانَ الْمَيِّتُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْنِ كَمَا فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ يَقُولُ : نَوَيْتُ أَنْ أَصْلِيَ
أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

* وقيل: إن تعينت، وجب القيام، وإلا فلا.

* ٣ - الثالث:

أربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام، ويُسن رفع اليدين في التكبيرات حذو المنكبين خلافاً للحنفية والمالكية القائلين: بعدم الرفع.

* ٤ - الرابع:

قراءة الفاتحة بعد أي تكبيرة منها، والأفضل بعد الأولى. والحنفي يقرأ سبحانك.

* ٥ - الخامس:

الصلاة على النبي ﷺ بعد التكبيرة الثانية، وأفضلها الإبراهيمية.

* ٦ - السادس:

الدعاء للميت، وأقله: اللهم اغفر له وارحمه.

* وأكملُه: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا، وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ.

* وإن كان صغيراً قال:

١ - اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطًا لِأَبَوَيْهِ.

٢ - وَسَلَفًا.

٣ - وَذُخْرًا.

٤ - وَعِظَةً.

٥ - وَاعْتِبَارًا.

٦ - وَشَفِيعًا.

٧ — اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَفْرِغِ الصَّبْرَ عَلَى قُلُوبِهِمَا، وَلَا تَفْتِنَهُمَا بَعْدَهُ.

* ٧ — السابع:

التسليمَةُ الأولى، وأما الثانيةُ: فسنةٌ، وليس فيها سجودٌ سهوٍ.

موقفُ المؤمنِ بعدَ موتهِ:

* واعلم أن المؤمنَ ينكشفُ له عقيبَ الموتِ مِنْ سَعَةِ جَلَالِ اللَّهِ تعالى، ما تكونُ الدنيا وسَعَتُها، بالإضافةِ إليه كالسجن، أو كالمَضِيقِ الضيقِ الجوانبِ.

* ويكونُ مثاله، كالمحبوسِ في بيتٍ مظلمٍ، ومكانٍ ضيقٍ قاتمٍ، له بابٌ ونوافذٌ إلى بستانٍ فسيحِ الجوانبِ، واسعِ الأكنافِ، لا يبلغُ طَرَفُهُ أَقْصَاهُ لِسَعَتِهِ:

فيه أنواعُ الأشجارِ، مع مُخْتَلَفِ الأزهارِ والثمارِ، مع طيورٍ تُغَرِّدُ، وبلابلٍ تُشَدُّ بصوتها الرخيمَ، ومنظرها الحسنِ الجميلِ، والشكلِ البديعِ.

فهل يشتهي المؤمنُ إذا العودَ إلى السجنِ الذي خرج من مضيقهِ المحاطِ بالأكدارِ، بعدما وقعَ بصرُهُ على ذاكِ الفسيحِ الواسعِ، المحاطِ بالأنهارِ والثمارِ والأشجارِ؟ كَلَّا ثُمَّ كَلَّا.

فَمِثْلُ هذا المؤمنِ لا يسره أن يرجعَ إلى الدنيا، كما لا يسرُ الجنينُ أن يرجعَ إلى بطنِ أمه.

فنسبةُ سَعَةِ الدنيا إلى ظلمةِ الرحمِ، كنسبةِ سعةِ الآخرةِ إلى مضيقِ الدنيا.

وورد في هذا:

* «إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، إِذَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا بَعْدَ مَعْرَكَةٍ حَامِيَةٍ مَقْرُونَةٍ فِي الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، حَتَّى إِذَا مَا رَأَى الضَّوَّءَ، وَوُضِعَ فِي حِجْرِ أُمِّهِ لَمْ يُحِبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ.

وكذلك المؤمنُ يجزع من الموت، ويخشى لقاءه، فإذا ما أفضى إلى ربِّه وشاهد ما شاهد لم يُحِبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، كما لا يحبُّ الجنينُ أن يرجع إلى بطن أمه.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ:

«مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَهُ، وَإِنَّهُمْ لَيُغْسَلُونَهُ وَيُكْفَنُونَهُ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ».

* فالميتُ يعرف مَنْ يُغْسَلُهُ، وَمَنْ يَحْمِلُهُ، وَمَنْ يُدْلِيهِ فِي قَبْرِهِ.

* اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَرَجِي وَسُرُورِي يَوْمَ الْفَاكِ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنِّي.

الموت: هو أمرٌ عظيمٌ، وشأنٌ كبيرٌ، من أمر الله تعالى، مُبْهِمًا له. وتاركًا تفصيله، ليعرف الإنسانُ عَلَى الْقَطْعِ عَجْزَهُ من علم حقيقة نفسه مع العلم القطعي بوجودها.

* وإذا كان الإنسانُ في معرفة نفسه هكذا، كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه أولى وأولى.

* وَحِكْمَةُ ذَلِكَ:

* تعجيزُ العقلِ عن إدراك معرفة مخلوق مجاورٍ له، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ عن إدراك معرفة خالقه أَعْجَزُ.

وقد قيل:

* إن السائلين عن الروح هم قريش، قالت لهم اليهود عليهم اللعنة:

* ١ — سلوه عن أصحاب الكهف.

٢ — وخبر ذي القرنين.

٣ — وعن الروح، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْ اثْنَيْنِ، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدَةٍ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَأَخْبِرْهُمْ خَبْرَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَخَبْرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

* وقال في الروح:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من الأمر الذي لا يعلمه إلا الله تعالى^(١).

* * *

(١) انظر القرطبي، قد بسط هذا الموضع بسطاً جيداً لأهميته.

المَقْصِدُ الرَّابِعُ في الزكاة^(١)

* إنما تجبُ على كُلِّ مسلمٍ، حرٍّ، تامِّ الملكِ :

١ - في الإبل.

٢ - والبقر.

٣ - والغنم :

* بشرطِ النصابِ، والحوْلِ، والسَّوْمِ.

٤ - وفي الذهب والفضة في غير حُلِّيٍّ مُباحٍ.

٥ - وفي عَرَضِ التجارة، بشرطِ النصابِ.

٦ - وفي المقتاتاتِ اختياريًّا من زرعٍ، ورُطْبٍ، وعِنَبٍ،

بشرطِ النصابِ.

* (فنصبُ الإبلِ) خمسٌ، وفي كلِّ خمسٍ إلى أربع

وعشرين شاةً.

(١) انظر كتابنا «الصحوة القرية»، الجزء الأول ص ١٠١، تحت عنوان «مكافحة

الفقر»، وص ٤٠٨ تحت عنوان «مؤسسة الزكاة» فقد ذكرنا في الموضعين وظائف المال في المجتمع. وفوائده ومضاره.

- * وفي خمسٍ وعشرين بنتٌ مخاضٍ .
- * وستٍ وثلاثينَ بنتٌ لبونٍ .
- * وستٍ وأربعينَ حِقَّةً .
- * وإحدى وستينَ جذعةً .
- * وستٍ وسبعينَ بنتا لبونٍ .
- * وإحدى وتسعينَ حِقَّتَانِ .
- * ومائةٍ وإحدى وعشرين ثلاثُ بناتٍ لبونٍ ، ثم في كل أربعينَ بنتٌ لبونٍ ، وكلُّ خمسينَ حِقَّةً .
- * و (نصاب البقر) : ثلاثونَ وفيها تبيعٌ ، وأربعون مُسِنَّةٌ .
- * و (نصاب الغنم) : أربعونَ وفيها شاةٌ جذعة ضأنٌ ، أو ثنيةٌ معز .
- * وفي مائةٍ وإحدى وعشرين شاتانٍ .
- * وفي مائتينِ وواحدةٍ ثلاثُ شياهٍ ، ثم في كل مائةٍ شاةٌ .
- * و (مال الخليطين) كمالٍ واحدٍ إن اتَّحد :
- ١ — المَراحُ .
- ٢ — والمَشرَحُ .
- ٣ — والمَشرع .
- ٤ — والمرعى .
- ٥ — والراعي ،

٦ — والفحل.

٧ — وموضع الحليب.

* و (نصاب الذهب): عشرون مثقالاً، والفضة مائتا درهم: وفيهما رُبْع العُشْرِ.

* والزائد بحسابه؛ ورَكَازهما خُمُسٌ عند حصوله.

* و (نصاب الزرع والثمار): ألف وست مئة رطلٍ عِرَاقِيٍّ جافاً، وفيه عِشْرٌ إن سُقِيَ بلا مؤونة، وإلا فنصفه والزائد بحسابه.

* و (عَرَضُ التجارة): يُقَوَّم آخرَ الحولِ بنقد أصله، فإن بلغ نصاباً ففيه رُبْع العُشْرِ.

* (زكاة الفطر): صاعٌ وهو خمسة أرطالٍ وثلاث عِرَاقِيَّةٍ تلزم المسلم عنه، وعن كلِّ مسلمٍ تلزمه نفقته إن فَضَلَ عن قوتهم ليلة العيد ويومه.

(قَسْمُ الزَّانَةِ): على ثمانية أصناف أو مَنْ وَجِدَ منهم:

١ — الفقير.

٢ — والمسكين.

٣ — والعامل عليها.

٤ — والمؤلِّفة قلوبهم.

٥ — والمكاتب.

٦ — والغارم.

٧ — والغازي.

٨ — والمسافر^(١).

* وأقل ما يجزي ثلاثة من كل صنف إلا العامل؛ ولا يُعطى منها بنو هاشم والمطلب، وعبد، وكافر، ولا من سهم الفقير غني بمال أو كسب، ومن تلزم المُرْكِي نفقته.

الشَّحْ

تعريف الزكاة وحكمها:

هي لغة:

* النماء، والبركة، والتطهير^(٢)، وكثرة الخير، ويقال: زكا الزرع إذا نما.

وشرعاً:

اسم لما يُخرج عن

١ — مال.

٢ — أو بدن: على وجه مخصوص.

والزكاة: أحد أركان الإسلام الخمسة ويُكفرُ جاحدُها.

(١) لا بأس بذكر الآية، وهي: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٦٠].

(٢) لأن المال ينمو ويطهر، وتحصل البركة له، بسبب إخراجها، ودعاء الأخذين لها. انظر: «فتح العلام» (٣/ ٢٤٥)، هو من تحقيقنا — والحمد لله — قد ذكرنا فيه معنى التطهير بشكلٍ مفصّلٍ وواسعٍ.

وقد توعد الله مانع الزكاة بقوله:

* ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (١).

ولقوله عليه الصلاة والسلام:

* مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَتَكْوَى بِهَا جَنَّتُهُ وَجَنَابُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى مَصِيرَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» (٢).

* فَمَنْعُ الزَّكَاةِ مُوجِبٌ لِّغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَالِبٌ لِلْبَرَكَةِ، وَمَا حَوْلَهَا، وَسَبَبٌ لِّضْيَاعِ الْمَالِ وَدِمَارِهِ.

* وأداؤها موجبٌ لرضاء الله تعالى، ولتحسين المال ونموّه.

* وتجب الزكاة على كل مسلم حر، فلا تجب على كافر أصلي، ولا يُنَزَّمُ بأدائها، وإن كان يُعاقَبُ عليها في الآخرة إن مات على الكفر^(٣). وإن أسلم سقطت عنه، فلا يُكَلَّفُ بقضاها: كالصلاة والصوم^(٤).

(١) من سورة التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٢) انظر «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري، فقد ذكر فيه عدة روايات مختلفة في هذا المعنى.

(٣) لأن الكافر يعاقب على الأصول والفروع.

(٤) لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، فلا يحاسب الكافر على كفره، وَمِنْ فِعْلِ حَرَامٍ، أو تعطيل واجب زمن الكفر.

وأما المرتد - والعياذ بالله - :

فإن لزمته قبل رده، ولم يكن أخرجها أُخِذَتْ قَهْرًا منه : سواء أسلم بعد ذلك أو مات مرتدًا .

* ولا تجب الزكاة على رقيق لضعف الملك ، لأن الرقيق لا يملك مع سيده .

مهمة :

* لا يمنع الدَّيْنُ وجوبَ الزكاة في أظهر الأقوال .

وقيل : يمنع كما يمنع وجوب الحج .

حكم الزكاة :

كما أوجب الله الصلاة ، أوجب الزكاة في الأموال ، وفرضها على أربابها فقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(١) ،

وقال لنبية عليه الصلاة والسلام :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾^(٢) .

وهي : أحدُ أركانِ الإسلام ، يُكْفَرُ جاحِدُها .

* وتجبُ الزكاةُ :

١ - في الزرع .

٢ - والثمار .

٣ - والذهب .

٤ - والفضة .

(١) من سورة البقرة : الآية ٤٣ .

(٢) من سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

٥ - وعروض التجارة.

٦ - والماشية: من البقر، والشاء، والإبل، والمعز.

تنبيه:

* لا يُعتبر في وجوب الزكاة بلوغ، ولا عقل، ولا رشد، والمخاطب بالإخراج منه الولي.

وهذا مذهب الإمام الشافعي، لأن الزكاة تتعلق بعين المال^(١).

تنبيه:

* تجب الزكاة في المواشي السائمة في كلٍّ وحشيشٍ مباح، غير العاملة.

* فلا زكاة في المعلوفة، ولا في العاملة في حرث أو غيره.

مُهَمَّةُ:

* حَدَّدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مقدارَ الزكاةِ التي تجبُ فيها، ونصابَ هذه

الأموال، وزمنَ وجوبها فجعلها في أربعةِ أصنافٍ:

* أحدها: الزرع والثمار.

* الثانيةُ: بهيمةُ الأنعام:

١ - الإبل.

٢ - والبقر.

٣ - والغنم.

* الثالثةُ: الجواهرُ اللذان بهما قِوامُ العالمِ وهما: الذهب

والفضة.

* الرابعةُ: أموالُ التجارةِ على اختلافِ أنواعها، وتباينِ أصنافها.

(١) فالحنفية: اعتبروا الزكاة أنها تتعلق في ذمة المكلف ولذا لا تجب على الصبي

والمجنون.

شرائط وجوب الزكاة :

* ١ - أولاً: الإسلام، فلا تجب على كافر أصلي، ولا يُطالب بها حال كفره، لأنها مفروضة على المسلمين بخلاف المرتد.

* ٢ - ثانيًا: الحرية، فلا تجب الزكاة على رقيق، ولو مدبرًا، أو مكاتبًا، أو مبعوضًا لضعف الملك في الأخيرين.

* ٣ - ثالثًا: الملك التام، خرج به الملك الضعيف كالبيع في مدة الخيار، ومال المغصوب، والمسروق، والمودع بعد جحوده، والغائب وغير ذلك.

* ٤ - رابعًا: الحول، وهو أن يمضي على المزكي سنة، فإن نقص عنها، فلا زكاة فيه.

* ٥ - خامسًا: إسامة مالك لها كل الحول، والسوم هو الرعي في كلاً مباح، فإن عُلِفَت الماشية كل الحول، أو مُعْظِمُهَا فلا زكاة فيها.

* ٦ - سادسًا: أن لا تكون عاملة، أي: يستعملها مالكها في أشغال الحراثة، وسقي الزرع، ونضح الماء، وغير ذلك، فلا زكاة فيها لأنها مُعَدَّةٌ للعمل.

* ٧ - سابعًا: النصاب، وهو قدر معلوم شرعًا تجب فيه الزكاة، فلا زكاة فيما دونه.

والنصاب: يختلف باختلاف الأصناف من ذهب وفضة ومواشي، والمصنف - رحمه الله تعالى - أشار إليها بشكلٍ مجملٍ وموجز.

* * *

المَقْصِدُ الْخَامِسُ فِي الصَّوْمِ^(١)

- * إنما يجبُ الصومُ على كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ .
- * وإنما يصح بالنية، وانتفاء المُفْطَرِّ وهو: رِدَّةٌ، وحَيْضٌ، ونِفَاسٌ، وتَعَمُّدٌ قِيٍّ، وجماع، واستِمْناءٌ، ووصولُ عَيْنٍ من منفذٍ إلى جوفٍ: كبطن، ودماغ، ودُبُرٍ، ومثانة .
- * و (سنة)، تأخيرُ سحورٍ، وتعجيلُ فِطْرِ، وتركُ هُجْرٍ .
- * ولا يصح صومُ العيدين، وأيامِ التشريق، ولا يومِ شكٍ إِلَّا أن يُوافقَ عادةً له، أو يصله بما قبله .
- * وعلى المفطر بجماع، القضاءُ وكفَّارةٌ ككفَّارة الظَّهار .
- * وعلى مَنْ مات ولم يصم بعدَ التمكن، إطعامٌ لكلِّ يومٍ مَدَّةً .

(١) انظر كتابنا «الصحة القرية»، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، ص ١٧٧، تحت عنوان «الصوم» وأنه الأستاذ الكبير في الصبر، وأنه السلاح القاطع لقمع النفس الأمارة .

ويُباح الفطرُ بمرض، أو سفرٍ قَصْرٍ، أو خوفٍ حاملٍ،
أو مُرضعٍ عليهما، ويجبُ بخوفهما على ولدٍ القضاء ومُدٌّ لكلِّ
يوم.

(الاعتكافُ)

* سُنَّةٌ، وإنَّما يصحُّ بنيَّةً، ولُبَّثٌ بمسجد، ولو نذره
متتابعًا، بطل بجماع — لا بخروج لقضاء حاجة — وحيض،
ومريض يشقُّ معه لُبَّثه.

الشَّرْحُ

حكم الصوم:

* صومُ رمضانَ فرضٌ بالإجماع، معلومٌ من الدين بالضرورة،
فَيُكْفَرُ جاحدُه.

قال الله تعالى:

* ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

وفي الحديث:

* «شَهْرُ رَمَضَانَ: شَهْرُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُم صِيَامَهُ، وَسَنَنْتُ لَكُم قِيَامَهُ،
فَمَن صَامَهُ وَقَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٢).

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي في «شعب الإيمان».

* والصومُ: يتميزُ بخاصةِ التشبهِ باللهِ تعالى مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَرْكَانِ،
إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ نَبِيُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
«كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعَفٍ، إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا
أَجْزِي بِهِ».

والصومُ:

* نِصْفُ الصَّبْرِ، فَقَدْ جَاوَزَ ثَوَابُهُ قَانُونََ التَّقْدِيرِ وَالْحِسَابِ. وَنَاهِيكَ
فِي مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ:

قوله عليه الصلاة والسلام:

«خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

المسافر:

* يجوزُ فطرُ رمضانَ لمسافرٍ سفرَ قصرٍ: سواءً خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
ضَرَرًا أَمْ لَا؟ وَلَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَصُومَ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا، فَإِنْ خَافَهُ فَالْفِطْرُ
أَفْضَلُ.

مهمة:

* يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِيَ التَّرْخِصَ عِنْدَ فِطْرِهِ، بِأَنْ يَقْصِدَ أَنَّ الشَّارِعَ رَخَّصَ
لَهُ الْفِطْرَ وَإِبَاحَهُ، وَأَنْ يَكُونَ السَّفَرُ سَابِقًا عَلَى الصَّوْمِ، وَإِلَّا حَرَّمَ.

مديمُ السفرِ:

* وَيُسْتَتْنَى مِنَ الْمَسَافِرِ، مَدِيمُ السَّفَرِ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْفِطْرُ، لِأَنَّهُ
يُؤَدِّي إِلَى إِسْقَاطِ الْوَجُوبِ.

مسألة:

* ويجوز فطره لشخص خائف على نفسه من الصوم، مشقة شديدة بسبب المرض، أو كِبَر سنٍّ، أو حَمَلٍ، أو رَضَاعٍ، أو غَلَبَة جوعٍ، أو عطشٍ، أو شُغْلٍ شاقٍّ، ولا يجوز لهم ترك النية كما يفعله كثير من الجهلة^(١).

مهمة:

* وفي المريض تفصيلٌ: وهو أنه إن كان مرضه مُطَبِّقًا أي: مُسْتَمِرًّا ليلًا ونهارًا، لم يلزمه التبييتُ، وإن كان متقطعًا، كأن كان يُحْمُ وقتًا دونَ وقتٍ، فإن كان قُبِيلَ الفجرِ جاز له تركها، وإلا لزمه الإتيانُ بها.

أَرْبَابُ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ:

* لا فرق في جواز الفطر لأهل العمل الشاقِّ بين الأجير الغني والفقير، والمتبرِّع بعمله وغير المتبرِّع، أو تَأَتَّى لهم الْعَمَلُ ليلًا.

فائدة:

* ومن لزمه الفطرُ فصام صومُه، لأن الحرمة لأمر خارج.

أما شروطه فأربعة:

* ١ - أحدها: إسلامٌ، فلا يصح من كافرٍ ولو مرتدًّا.

(١) أي: نية الترخُّص. فيجب على هؤلاء أن ينووا الترخُّصَ بالإفطار.

* ٢ - ثايتها: تمييزٌ، فلا يصح من غير المميز: كمجنون ومعتوه.

* ٣ - ثالثها: نقاءُ أي: خلوّ من حيضٍ ونفاس، فلا يصح من حائض ونفساء جميعَ النهار، فلو حصل في جزء من النهار - ولو يسيرًا - بطل الصوم.

* ٤ - رابعها: انتفاءُ إغماءٍ، وسكرٍ في جزء من النهار: فلا يصح من مغمى عليه، وسكرانٍ إن استغرق الإغماء، أو السكرُ جميعَ النهار.

والصحيحُ: أن النوم لا يضرُّ وإن استغرق جميعَ النهار.

وأما أركانه فاثناان:

* ١ - الأول: نيةٌ في كُلِّ ليلةٍ يُريدُ صومَها: بأن يحضرَ في ذهنه ذاتُ الصوم مع صفاته.

فروع:

* لو نوى مع طلوع الفجر لم يصحَّ لحديث:

«مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ النِّيَّةَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ».

* ولو شكَّ هل طلع الفجر أم لا؟ ثم نوى لم يصحَّ للترددِ في النية، بخلاف ما لو نوى، ثم شكَّ هل طلع أم لا؟ فإنه يصح، لأن الأصل عدمُ طلوعه.

* ٢ - الثاني: تركُ مفطرٍ وهو: أربعة أشياء:

- * ١ - أحدها: قيء ولو كان قليلاً.
- * ٢ - ثانيها: وطء في فرج قُبلاً أو دُبَرًا.
- * ٣ - ثالثها: خُروج منيِّ باستمناء أي: طلب خروج المنِيِّ بعملٍ منه أو فِكْرٍ، بأن أدامه.
- * ٤ - رابعها: وصولُ عَيْنٍ إلى ما يُسمَّى جَوْفَ من منطقة مفتوحة أصالةً.

* * *

المَقْصِدُ السَّادِسُ في حَجِّ^(١)

* إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ حَرًّا، وَجَدَ الزَّادَ
وَالرَّاحِلَةَ مَعَ أَمْنِ الطَّرِيقِ، وَإِمْكَانِ السَّيْرِ.
و (أركان):

- ١ — الإِحْرَامُ بِالنِّيَّةِ .
 - ٢ — وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ .
 - ٣ — وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا .
 - ٤ — وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا .
 - ٥ — وَالْحَلْقُ . وَهِيَ أَرْكَانُ الْعُمْرَةِ سِوَى الْوُقُوفِ .
- و (واجبائه):

- ١ — الإِحْرَامُ مِنَ الْمَيْقَاتِ .
- ٢ — وَرَمْيُ الْجِمَارِ .

(١) انظر كتابنا «الصحوة القرية»، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، ص ٢٠٠ تحت عنوان «حكمة مشروعية الحج» وأنه النظام العسكري. والوحدوي مع ذكر بعض الآداب المطلوبة في تلك الرحلة العظيمة.

٣ - والمبيتُ .

٤ - وطوافُ الوداعِ .

و (سنُّه) :

١ - تقدُّمُه على العُمرَة .

٢ - والتجرُّدُ إلى إزارٍ ورداءٍ أبيضين .

٣ - والتلبيةُ .

٤ - وطوافُ القدومِ .

٥ - وركعتا الطوافِ .

* ويجب بترك واجب ذبحُ شاةٍ، فإن عجز فصَوْمُ ثلاثة أيامٍ قبلَ النحر، وسبعةٍ في وطنه .

* ويتحلَّلُ لفوات الوقوفِ بعمل عُمرَةٍ، ويقضي بدمٍ .
وللإحصار: بنية، وحَلَقٍ، ودمٍ .

و (يحرم بالإحرام) :

١ - لبسُ المخيطِ .

٢ - وسترُ الرأسِ على الرجلِ والوجهِ على المرأةِ .

٣ - ودهنُ الشعرِ .

* ويجبُ شاةٌ، أو صومُ ثلاثة أيامٍ، أو إطعامُ ثلاثة أصعٍ لستةٍ .

و (مُبطَّله) :

عمدُ الجماعِ، ويُوجب الإتمامَ، والقضاءَ، وبدنةً ثمَّ

بقرة، ثم سبَع شياه، ثم طعامًا بقيمة البدنة، ثم صومًا بعدد الأمداد.

و (يحرم) بكل من الإحرام والحرم، قتل صيد، ويوجب مثله نَعَمًا، أو طعامًا بقيمته، أو صومًا بعدد الأمداد.

الشَّرْحُ

حكم الحج والعمرة:

يجبان، أعني: الحج والعمرة، في العمر مرة. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧) (١).

وقال عليه الصلاة والسلام:

* «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ: لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (٢).

فائدة:

* والحجُّ يُكْفِّرُ الصغائرَ من الذنوب والكبائر، إذا كان مستوفيًا للأركان والشروط، وإذا لم يُخالطه ذنبٌ من الإحرام إلى التحلل (٣).

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) رواه الإمام وغيره.

(٣) لأن المعصية في تلك البقاع المقدسة: أمرها عظيم، وشأنها كبير.

تعريف الحج والعمرة:

الحج لغة:

* مطلقُ القصدِ. وشرعاً: قصدُ الكعبةِ للنسك.

والعمرة لغة:

* الزيارة. وشرعاً: كالحج إلا أنها لا وقوفَ فيها أي: في

عرفات.

حِكْمَتُهُ:

* معظمُ أفعالِ الحجِّ: أمرُها تَعَبُدِيٌّ: ظهرَ بعضها، وخَفِيَ الآخرُ، ليكونَ المسلمُ مُستَسِلِّمًا لأمرِ مولاه، منقادًا لمن أوجده وربَّاه.

* وسئل ابنُ عباسٍ - رضي الله تعالى عنهما - عن الحكمة في

أفعال الحج؟

* فقال: ليس من أفعال الحج ولوازمه شيءٌ، إلا وفيه حكمةٌ بالغةٌ، ونعمةٌ سابغةٌ، ونبأٌ عظيمٌ، وشأنٌ كبيرٌ، وسِرٌّ يقصر عن وصفه كلُّ إنسان. اهـ.

المناسِكُ وكيفياتُها:

لأداء الحجِّ والعمرة ثلاثُ كيفياتٍ:

* ١ - الأفراد، وهو أفضلُها.

* ٢ - والتمتع.

* ٣ - والقِرانُ.

* أمَّا الأفرادُ:

فهو أن يُحرَمَ بالحج أولاً فيطوف، ويسعى، ويقف بعرفة، ثم ينحدر إلى منى لرمي الجمرات، ثم يتوجه لمكة، ويطوف طواف الإفاضة. وبعد انتهائه من هذه المناسك يُحرَمُ بالعمرة.

* وَأَمَّا التَّمَتُّعُ:

أن يُحرَمَ بالعمرة أولاً بأن يطوف، ويسعى بعد النية، ويحلق، ويتحلل بأن يعود لثيابه، ويمكث إلى وقت الحج فيُحرَمَ به، وعليه دمُ التمتع.

* وَأَمَّا الْقِرَآنُ:

بأن يُحرَمَ بهما معاً بأن يقول: نويتُ الحجَّ والعمرة، وأُحرمتُ بهما لله تعالى.

أو بالعمرة، وقبل الشروع في أعمالها، أعني قبل الطوافِ يُدخل عليها الحجَّ، فللقران صورتان.

ملاحظة:

ويمتنع عكس ذلك بأن يحرم بالحج، ويدخل العمرة عليه. فيحصلان بفعل واحد، فيكفي عنهما طواف واحد، وسعي واحد، وحلق واحد، وعليه دمُ الاختصار، أو دم الشكر.

فائدة:

وأفضلُ هذه الكيفيات الثلاثة:

- ١ - الأفراد.
- ٢ - ثم التمتع.
- ٣ - ثم القرآن. وعليه السادة الشافعية، خلافاً للأحناف.

والحج له :

١ - شروطٌ .

٢ - وأركانٌ .

٣ - وواجباتٌ .

٤ - وسننٌ .

٥ - ومحظوراتٌ .

تُطلبُ من الموسوعاتِ الفقهية .

شروطُ الحجِّ :

الاستطاعةُ ، وهي نوعان :

* ١ - الاستطاعةُ بالنفس .

* ٢ - الاستطاعةُ بالغير .

الاستطاعة بالنفس :

وهي استطاعةٌ مباشرةٌ ، ولا تتحقق إلا بأمرٍ أربعة :

* الأول : وجودُ مؤنِّ سفره في الذهاب والإياب .

* الثاني : أَمْنُ الطريقِ أَمْنًا لائِقًا بالسفر على النفس والمال .

* الثالث : الثبوتُ على المركوب على اختلاف أنواعه ، وتباين

أصنافه ، وهو يختلف باختلاف الأزمان ، والأشخاص .

* الرابع : إمكانُ تحصيلِ مؤنِّ السفرِ بضمنٍ معقولٍ ، وهو يعرف

الفقهاء ثمنُ المثل ، وإلا فلا يجب .

وأما الاستطاعة بالغير : تكون في صنفين :

* ١ - مَيْتٍ مكلفٍ لم يحجَّ .

* ٢ — ومعضوبٍ بمرضٍ مزمِنٍ لا يُرَجَى شفاؤه: فَيُحَجُّ عَنْهُمَا.

وأما أركانهُ، فستةُ:

* ١ — الإِحْرَامُ.

* ٢ — والوقوفُ بعرفةَ.

* ٣ — والطوافُ.

* ٤ — والسعيُّ.

* ٥ — والحلقُ.

* ٦ — والترتيبُ.

فأما الإِحْرَامُ:

* وهو نيةُ الدخولِ في الحجِّ، بأن يقولَ بعدَ التجردِ عن المُحيطِ بقلبه وجوبًا ولبسانه ندبًا: نويتُ الحجَّ وأحرمْتُ به اللهُ تعالى.

* وَيُسْنُ النطقُ بها، وأن يذكرَ في التلبية ما أحرم به بأن يقول:
لبيك اللهم بحج لبيك، أو بعمرة.

وأما الوقوفُ، بعرفة:

* أي: حضورُ المُحَرَّمِ بجزءٍ منها، ووقته: مِنْ زوالِ شمسِ يومِ التاسعِ من ذي الحجة، إلى فجرِ يومِ العاشرِ.

* ففي أيِّ وقتٍ وقفَ أجزأه، ولا يصح قبله ولا بعده.

* ويكفي المحرَّم الحضورُ بالجزءِ المذكورِ — ولو لحظةً — .

* ولا يضرُّ النومُ حالَ الوقوفِ، ولا الجهلُ بالبقعة، أو اليومِ.

* وَمِنْ ذَلِكَ يُعْلَمُ أنه لو دخل عرفةَ قبلَ وقتِ الوقوفِ، ونام فاستغرق في نومه، حتَّى دخلَ وقتُ الوقوفِ، ثمَّ خرج منها وهو نائم أجزأه.



وبالجملة:

* فيصح الوقوف مع النوم، أو الغفلة، أو البيع، أو الشراء، أو التحدث، ومع عدم المكث فيها، ومع الجهل بالبقعة، أو اليوم، ولكن يفوت كمال الفضيلة.

وأما الطَّوافُ:

* فهو طواف الإفاضة، وسُمِّيَ بذلك لوقوعه بعد الإفاضة من عرفة، وهو أفضل أركان الحج، ويُشترط فيه، كونه: سبعا، وكون الطائف خارج البيت. ومنه: الشاذروان والحجرُ فهما من البيت.

تنبيه:

* من قبل الحجر الأسعد، تكون يده ورأسه في حال التقبيل في جزء من البيت وهو هواء الشاذروان فيلزمه أن يقر قدميه في محلهما، ويعتدل قائما ليكون بدنه خارج البيت، وكثير من الحجاج من يغفل عن هذا، فليتنبه له.

وأما السَّعْيُ:

* بعد طواف الإفاضة، يُشترط فيه كونه سبعا: يُحسب الذهاب مرة من الصفا، والعود مرة أخرى، وعليه جمهور الأئمة بلا منازع ولا خلاف. ومن شروطه قطع جميع المسافة، وعدم الصارف، فلو سعى بقصد طلب غريم له لم يصح، وما يفعله بعض الجهلة من المسابقة فيه يضر، فليتنبه له.

وأما الحَلْقُ:

* فهو إزالة الشعر من الرأس لا من غيره، والأفضل استئصاله. وأقله: ثلاث شعرات.

* وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَا شَعْرَ لَهُ إِمْرَارُ الْمَوْسَى عَلَى رَأْسِهِ .

وَأَمَّا التَّرْتِيبُ :

* فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْتِيبِ مُعْظَمِ الْأَرْكَانِ ، بَأَن

١ — يَأْتِي بِالْإِحْرَامِ وَهُوَ النِّيَّةُ .

٢ — ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ بِالْوُقُوفِ .

٣ — ثُمَّ يَطُوفُ طَوَافَ الْإِفَاضِيَةِ .

٤ — ثُمَّ يَسْعَى .

* وَيَجُوزُ تَقْدِيمُ الْحَلْقِ عَلَى الطَّوَافِ .

* وَيَجُوزُ تَقْدِيمُ السَّعْيِ عَلَى الْوُقُوفِ ، وَلَا تَرْتِيبَ بَيْنَ الْحَلْقِ

وَالسَّعْيِ ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّوَافِ .

فَهَذَا مُوجِزُ الْأَرْكَانِ ، فَعُدْ إِلَيْهِ وَاقْرَأْهُ عَلَى مَهْلٍ . وَسَلَّ اللَّهُ حُسْنَ

الْخِتَامِ عِنْدَ انْتِهَاءِ الْأَجْلِ .

أَرْكَانُ الْعِمْرَةِ خَمْسَةٌ :

* ١ — الْإِحْرَامُ أَيُ : نِيَّةُ الدَّخُولِ فِيهَا .

* ٢ — الطَّوَافُ بِالْكَعْبَةِ .

* ٣ — السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ .

* ٤ — إِزَالَةُ الشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ بِحَلْقٍ أَوْ غَيْرِهِ .

* ٥ — تَرْتِيبُ هَذِهِ الْأَرْكَانِ ، بَأَن :

١ — يُحْرَمُ .

٢ — ثُمَّ يَطُوفُ .

٣ — ثُمَّ يَسْعَى .

٤ - ثم يُزِيلُ الشعرَ، وبه يحصلُ التَّحَلُّلُ منها.

فائدة:

* يجوز الإحرامُ بالعمرة في أي وقتٍ، إلَّا لحاجٍّ بقي عليه شيءٌ من أعمال الحج، فيمتنع عليه الإحرامُ بها ولا تنعقد.

وأما واجباته فخمسة:

* ١ - وقوعُ الإحرام من الميقات.

* ٢ - المبيتُ بمزدلفة.

* ٣ - المبيتُ بمنى.

* ٤ - رميُ جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ.

* ٥ - اجتنابُ الأمورِ المحرَّمة.

وقوعُ الإحرام من الميقات:

والميقاتُ نوعان:

* ١ - زمنيٌّ:

وهو من ابتداءِ شَوَّالِ إلى فجرِ يومِ النحر، فلا ينعقد الحج إلَّا إذا نواه الحاجُّ في هذا الوقت، فهو أشبهُ شيءٍ في مواقيت الصلاة، وهو عامٌّ لجميع الناس، لا فرق بين الآفاقي والمكي.

* ٢ - مكانيٌّ:

وهو يختلف باختلاف الجهات: فمن كان من مكة ولو كان من غير أهلها فميقاته مكة.

وهكذا لكل إقليم من الأقاليم له ميقاتٌ معينٌ، فلا يجوزُ اجتيازُه بدون إحرام.

المبيتُ بمزدلفة:

* أي: بعد الوقوف بعرفة، والمراد بالمبيت بها: الحضورُ فيها ولو لحظةً بعد نصفِ ليلةِ النحر، ولو بلا مكث، فلو مرَّ بها مرورًا كفى.

* من واجبات الحج: المبيتُ بمزدلفة.

* وقيل: ركنٌ لا يصح الحجُّ بدونه.

* وقيل: سنةٌ ورجحه جماعةٌ منهم الرافعي.

وقد اتفق جماهيرُ العلماء والمذاهبِ الأربعة على وجوبه وعليه

العمل.

واختلفوا في زمن أداء هذا الوقوف:

فذهب الحنفية:

* إلى أنه ما بين طلوع الفجر يومَ النحر، وطلوع الشمس:

فمن حصل بمزدلفة في هذا الوقت فترةً ما من الزمن، فقد أدرك

الوقوف: سواء بات بها أو لا، ومن لم يحصل بها فقد فاتته الوقوف.

والسنة: أن يبيت ليلة النحر بمزدلفة، اقتداءً بفعل النبي ﷺ فإنه

بات بها^(١).

وذهب الأئمة الثلاثة:

* إلى أن زمن الوقوف الواجب هو المكث بالمزدلفة من الليل حتى

مطلع الفجر، ثم اختلفوا:

(١) هذا إذا أمكنه بأن يصلي خمس صلوات يومَ الثامن في منى فهي فضيلة عظيمة

وسنة كادت أن تندرس، فقليل من يتبها لها لجهل الناس في الفضائل

والمناسك.

فالمالكية، قالوا: النزولُ بمزدلفةَ قَدَرُ حَطِّ الرحالِ في ليلةِ النحرِ واجبٌ، والمبيتُ بها سنةٌ.

والواجبُ فيه لحظةٌ ولو بلا مكثٍ حتى لو مرَّ مرورًا ولم يعلم بها كفى.

فمن لم يكن بها فيه، بأن لم يحضر فيها أصلاً، أو حضر وفارقها قبلَ نصفِ الليلِ، ولم يعد إليها فيه أراق دمًا^(١).

والشافعية والحنابلة قالوا:

يجب الوجود بمزدلفة بعد نصف الليل ولو ساعة لطيفة.

والمبيت: هو المكث بعدَ نصفِ الليلِ، فيكون هو الواجب، ولأنه أبيعَ الدفعُ بعدَ نصفِ الليلِ بما ورد من الرخصة فيه، فدلَّ على أن وقته بعد نصف الليل.

تنبيه:

* واعلم أن العذر في المبيت يُسقط الدمَ والإثمَ.

* وفي الرمي: يُسقط الإثمَ فقط لا الدمَ، فتنبه لهذا فإنه مهم جدًا.

مُسْقَطَاتُ الْمَيْتِ:

* ويسقط المبيتُ مطلقًا عن خائفٍ على نفسٍ، أو عضوٍ، أو بضعٍ، أو مالٍ وإن قلَّ.

(١) انظر كتابنا «من قصص التنزيل»، الطبعة الأولى، ص ٥٤٩ كي ترى عظمة البيت الحرام، ومكانته وحفظه من أيدي العابثين، وكيد الكافرين، قديمًا وحديثًا، وأنه الباقي ما بقيت الدنيا، والحمد لله.

* وَيَسْقُطُ الْمَبِيتُ بِمَزْدَلِفَةَ عَمَّنْ أَفَاضَ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ وَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْعَوْدُ لِمَزْدَلِفَةَ بَعْدَهُ^(١).

المبيتُ بمنى:

* أَيَّامَ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، وَالْمَرَادُ بِالْمَبِيتِ فِيهَا الْوُجُودُ بِهَا مَعْظَمَ اللَّيْلِ، وَيَتَحَقَّقُ مَعْظَمُهُ بِمَا زَادَ عَنْ نِصْفِ اللَّيْلِ وَلَوْ لِحِظَةً. وَمَحَلُّ الْمَبِيتِ بِمَنَى: إِذَا لَمْ يَنْفِرِ النَّفَرُ الْأَوَّلَ، وَإِلَّا سَقَطَ عَنْهُ مَبِيتُ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ وَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ.

* مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ، الْمَبِيتُ بِمَنَى.

وَقِيلَ: إِنَّهُ سَنَةٌ وَبِهِ قَالَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ. وَفِيهِ فَسْحَةٌ كَبِيرَةٌ، وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ.

* وَالْخِلَافُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَبِيتِ بِهَا لِيَالِيِ التَّشْرِيقِ، وَأَمَّا الْمَبِيتُ بِهَا — لَيْلَةَ عَرَفَةَ — فَسَنَةٌ اتِّفَاقًا.

* وَالْوَاجِبُ فِي الْمَبِيتِ هُنَا: الْحَصُولُ بِهَا مَعْظَمَ اللَّيْلِ: ثَلَاثَ لِيَالِيِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

* وَيَتَحَقَّقُ الْمَعْظَمُ بِمَا زَادَ عَلَى النِّصْفِ وَلَوْ بِلِحِظَةٍ، وَالْمَعْتَبَرُ كَوْنُهُ حَاضِرًا طُلُوعَ الْفَجْرِ.

فَائِدَةٌ:

* وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ: هِيَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَتَالِيَاهُ.

وَمَحَلُّ وَجُوبِ مَبِيتِ لِيَالِيهَا الثَّلَاثِ، إِنْ لَمْ يَنْفِرِ النَّفَرُ الْأَوَّلَ كَمَا هُوَ الْأَفْضَلُ، وَإِلَّا سَقَطَ عَنْهُ مَبِيتُ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ:

(١) أَقُولُ: هَذِهِ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — رَخِصَةٌ عَظِيمَةٌ مَسْقُطَةٌ لِلْمَبِيتِ بِمَزْدَلِفَةَ فَافْهَمِ.

* وكذا رمي يومها، ولا دم عليه ولا إثم. لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١).

رمي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ:

* والرمي إلى الجمار الثلاث في كل يوم من أيام التشريق الثلاث.

ولا بد من حصول حقيقة الرمي، فلا يكفي إلقاء الحصة في المرمى أي: الحوض بأن يضعها بدون رمي. وإذا تعجل في يومين فيسقط عنه الرمي في اليوم الثالث، كما تقدم قريباً. دخول وقت رمي الأولى:

* ويدخل وقت رمي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ وحدها بنصف ليلة النحر بشرط تقدم الوقوف في عرفة، فلا يصح الرمي إليها قبل الوقوف، وكذا بعده وقبل نصف الليل.

وقت الجَمَارِ الثَّلاثِ:

* ويدخل وقت الرمي إلى الجَمَارِ الثَّلاثِ بزوال الشمس في كل يوم من أيام التشريق.

* ويمتد وقت جواز الرمي في الجميع إلى آخر أيام التشريق.

فائدة:

* فمن ترك رمي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ، أو رمي بعض أيام التشريق - ولو لغير عذر - تداركته في باقيها ولو في آخر أيام منها ويقع أداء.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

أقول: وهذه رخصة عظيمة لمن تأملها، وأحاط بها علمًا.

شروط الرمي:

* ١ - كونه سبعا.

* ٢ - كونه باليد.

* ٣ - كونه بحجر.

* ٤ - قصد المرمى.

* ٥ - تحقق إصابة المرمى، فإن شك في إصابته لم يحسب.

* ٦ - انتفاء الصارف، فإن صرفه بالنية لغير مناسك الحج، لم يُعتد به، ولو قصد الشاخص وهو العمود الذي هو داخل المرمى لم يجزه أيضا، فقصد المرمى هو المستهدف في النسك.

تُخِيَةُ مَنَى:

الحديث على رمي الجمار:

من الواجبات المطلوبة من الحاج أيام منى: رمي الجمار.

وينقسم الرمي إلى قسمين:

* ١ - الأول: جمرَةُ الْعَقْبَةِ، وَيَدْخُلُ وَقْتُهَا بِنِصْفِ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ النحر، ولكن بشرط تقدم الوقوف بعرفة، فلا يصح الرمي قبل الوقوف ولا بعده، ولا يصح قبل نصف ليلة النحر بالاتفاق.

والأفضل:

* تأخير الرمي إلى طلوع الشمس، وارتفاعها قدر رُمح خروجًا من الخلاف بين الأئمة.

* ٢ - (الثاني: رَمَى الْجِمَارِ الثلاثِ أيامَ التشريقِ الثلاثة).

أيامَ العيدِ أربعةً: الأولُ يُسمَّى النحرَ، والثلاثُ بعده تُسمَّى أيامَ التشريقِ.

فيدخلُ وقتُ كُلِّ يومٍ بزوالِ شمسِهِ أعني: دخولَ وقتِ الظهرِ، فلا يصح الرمي قبل الزوال.

مسألة:

* وَجَزُمُ الرافعي بجوازه قبل الزوال: ضعيفٌ، وإن اعتمده الإسنوي وزعم أنه المعروفُ مذهبًا وعليه أي: على هذا القولِ جوازه من الفجر.

مسألة:

* وَمَنْ تركَ رَمَى جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ، أو بعضَ أيامَ التشريقِ، تداركه في باقيها أداءً في الأظهر، لأنه جوزه عليه الصلاة والسلام للراحة، ولو وقع قضاء لما دخله التدارك كالوقوف بعرفة، ومبيت مزدلفة.

وأفهم قوله في باقيها أعني: أيامَ التشريقِ، أنه ليس له تداركه ليلاً.

والمعتمد:

* جوازه ليلاً وقبل الزوال؛ بل جزم الرافعي وتبعه الإسنوي وقال: إنه المعروف بجواز كلِّ يومٍ قبل زواله، وعليه فيدخلُ الرمي وقتَه بالفجر.

ويقال له، أي الرمي: تحيةٌ مني.

اجتنابُ محرّماتِ الإِخْرامِ :

- * ١ - أوأ: لبسُ المَخِيْطِ بسائرِ أنواعِه في أي جزء من بدنه .
- * ٢ - ثابأ: سترُ المرأةِ وجهَها : كُلاًّ أو بعضاً بما يُعَدُّ ساتراً .
- * ٣ - ثالأ: تغطيةُ بعضِ الرأسِ : كُلاًّ أو بعضاً بما يُعَدُّ ساتراً .
- * ٤ - رابأ: إزالةُ الشعرِ من أيِّ جُزءٍ من البدنِ بأيِّ كيفيةٍ من كيفيةِ الإزالةِ .

- * ٥ - خمسا: دهنُ شعرِ الرأسِ والوجهِ بطيبٍ ونحوه من الأدهانِ .

- * ٦ - ساسأ: تقليمُ الأظفار من يدٍ ورجلٍ كُلاًّ أو بعضاً .
- * ٧ - سامأ: التطيُّبُ في ملبوسٍ ، أو بدنٍ ظاهراً أو باطناً .
- * ٨ - ثامأ: التعرُّضُ للصيدِ البري المأكول: فخرجِ البحريُّ ، وغيرُ المأكولِ ، لا بأس بصيده .
- * ٩ - تاسمأ: التعرُّضُ لشجرِ الحَرَمِ وحشيشِه : بقطعٍ ، أو قلعٍ ، أو إتلافٍ .
- * ١٠ - عاشراً: عَقْدُ النكاحِ لنفسه ، أو لغيره بإذنٍ ، أو وكالةٍ ، أو ولايةٍ .

- * ١١ - العادي عشر: الوطءُ في قُبُلٍ أو دُبُرٍ ، ويحرمُ على المرأةِ الحلالِ تمكينُ زوجها المحرّمِ منها .
- * ١٢ - الثماني عشر: مقدماتُ الوطءِ : كمفاخذةٍ ، وقُبلةٍ ، ومَعانَقةٍ ، ولمَسٍ إذا كان بشهوةٍ .

* * *



المَقْصِدُ السَّابِعُ في أصول طريق التزكية

هي خمس :

- * ١ — : تقوى الله في السر والعلانية .
- * ٢ — : واتباع السنة في الأقوال والأفعال .
- * ٣ — : والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .
- * ٤ — : والرضا عن الله تعالى في القليل والكثير .
- * ٥ — : والرجوع إلى الله في السراء والضراء .
- * فتحقيق التقوى : بالورع والاستقامة .
- * وتحقيق اتباع السنة : بالتحفظ^(١) وحسن الخلق .
- * وتحقيق الإعراض عن الخلق : بالصبر والتوكل .
- * وتحقيق الرضا عن الله تعالى : بالقناعة والتفويض .
- * وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى : بالشكر له في السراء والالتجاء إليه في الضراء .

(١) بالتحفظ عن الالتفات لغير الله تعالى وتعلق القلب به سبحانه في جميع الأمور مع حسن الخلق .

و (أصول ذلك كُلُّه)

* خمسة:

١ — علوَّ الهمة .

٢ — وحِفظُ الحرمة .

٣ — وحُسْنُ الخدمة .

٤ — ونفوذُ العزيمة .

٥ — وتعظيمُ النعمة .

* فمن علتْ هِمَّتُه، ارتفعتْ رتبَتُه، ومَنْ حفظَ حُرْمَةَ
اللَّهِ، حَفِظَ اللّهُ حَرَمَتَه، ومَنْ حُسِنَتْ خِدْمَتُه، وجبتْ كرامَتُه،
ومن نفذتْ عَزِيمَتُه، دامتْ هدايَتُه، ومن عَظُمَ النِّعْمَةُ، شَكَرَها،
ومَنْ شَكَرَها، استوجبَ المَزيدَ^(١) .

و (أصولُ العلاماتِ) خمسة:

* طلبُ العلمِ للقيامِ بالأمر .

* وصحبةُ المشايخِ والإخوانِ للتبصُّرِ .

* وتركُ الرُّخَصِ والتأويلاتِ للتَّحَفُّظِ .

* وضبطُ الأوقاتِ بالأُورادِ للحضورِ .

* واتِّهامُ النفسِ في كلِّ شيءٍ للخروجِ مِنَ الهَوَى،

والسلامةُ مِنَ العطبِ .

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم:

الآية ٧].

* فطلبُ العلمِ : آفتهُ صُحبةُ الأحداثِ :

١ — سنًا .

٢ — وعقلًا .

٣ — ودينًا مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة .

* وآفةُ السحبةِ : الاغترارُ والفضولُ .

* وآفةُ تركِ الرُّخصِ والتأويلاتِ : الشفقةُ على النفسِ .

* وآفةُ اتِّهامِ النفسِ : الأنسُ بحُسنِ أحوالها واستقامتها ،

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤَخِّذَ مِنْهَا ﴾^(١) .

و (أصولُ ما تُدَاوَى بهِ عِللُ النفسِ) خمسةٌ :

* تخفيفُ المعدةِ بقلَّةِ الطعامِ والشرابِ .

* والالتجاءُ إلى الله تعالى مما يعرض عندَ عُروضه .

* والفرارُ من مواقف ما يُخشى الوقوعُ فيه .

* ودوامُ الاستغفار مع الصلاة على النبي ﷺ آناءَ الليلِ

وأطرافِ النهارِ باجتماعِ الخاطرِ .

* وصحبةُ مَنْ يدلُّكَ على الله تعالى حاله .

الشَّرْحُ

التصوف :

* واعلم أن هذا العلمَ — ويُقال له عِلْمُ الباطنِ ، أو عِلْمُ التزكيةِ — :

مِنْ أَجْلِ العلومِ قَدْرًا ، وأعظمِها محلًّا وفخرًا ، وأسناها شَمْسًا وبَدْرًا .

(١) سورة الأنعام : الآية ٧٠ .

* لأن التزكية توصلك إلى مقام الإحسان، «بأن تعبد الله كأنك تراه».

قال الإمام الطيبي:

* لا ينبغي للعالم، ولو تبخر في العلم حتى صار واحد زمانه، أن يقنع بما علمه:

* وإنما الواجب عليه أن يسعى بالاجتماع بأهل القلوب، ليدلوه على طريق الاستقامة، حتى يستعد للاقتباس من مشكاة أنوار النبوة.

* ولا يتيسر ذلك إلا بصحبة الصالحين، الذين سبروا هذا الفن، ووقفوا على غوره.

ليتلقف منهم كيفية علاج أمراض النفوس، وتطهيرها من النجاسة المعنوية، التي غرق فيها العالم من أقصاه إلى أقصاه:

* ليخرج من رعونات نفسه الأمارة بالسوء، ودسائسها الخفية.

موقف الإمامان الشافعي وابن حنبل من هـ.ا:

* كانا يترددان إلى مجالس هذه الطائفة، ويحضران معهم في مجلس ذكرهم ومذاكرتهم فقليل لهما:

ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال؟ فقالا: إن هؤلاء عندهم رأس الأمر كله.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

* فالتصوف: هو تقوى الله ومحبته، ومعرفة.

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

* وكان أحمدُ بنُ حنبل يقول لولده عبد الله: يا ولدي عليك بالحديث!!

وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سَمُّوا أنفسهم صوفيةً، فإنه ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه:

فلَمَّا صحَبَ أبا حمزةَ البغدادي، وعرف أحوالَ القوم، ووقفَ على حقيقتهم، كان يقول لولده:

* عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنَّهم زادوا علينا بكثرة العلم، والمراقبة لله تعالى، والخشية منه، والزهد في الدنيا، وعلوَّ الهمة^(١).

حدُّه وتعريفه:

* أما حدُّه هو علم يُعرفُ به أحوالُ النفس، ودخائلها: محمودها ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم، وتحليلتها بالمحمود.

وكيفية الوصول إلى ذلك مع الفرار إلى الله تعالى، ومعرفةُ الرب ذوقاً ووجداناً، والفوز برضاء الله تعالى، ونيل السعادة الأبدية.

وفيه تهذيب القلب، وصفاءه من الأغيار، وامتلاؤه بالأنوار.

حديثُ حارِثةَ:

* مَوْقِفُ حارِثةَ الأنصاري يكشف عن بعض هذه المعاني التي أشرنا إليها، حينَ قال له النبيُّ عليه الصلاة والسلام: كيف أصبحتَ يا حارِثَةُ؟

(١) وقد ذكرنا في كتابنا «الحب الخالد» رأي ابن تيمية رحمه الله في هذا تحت عنوان عداء عَلَى الألفاظ عُد إلىه تجذ بغيتك.

* قال حارثة: أصبحت مؤمناً بالله حقاً.

* فقال له عليه الصلاة والسلام:

فَانْظُرْ مَا تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ مَا تَقُولُ؟

* فقال حارثة — رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ — : عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي.

* وَكَأَنِّي أَرَى عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا.

* وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا.

* وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ فِيهَا.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

عَرَفْتَ فَالزَّمْ، عَبْدُ نَوَّرِ اللَّهُ قَلْبَهُ.

وفي رواية:

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَارِثَةَ بْنِ مَالِكٍ^(١).

* هذه هي الحقيقة التي حملها حارثة — رضي الله تعالى عنه — وتذوّقها.

فهي ثمرة من ثمرات التقوى التي نبعث من معين صافٍ، وهو القلب السليم. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٢).

ولا بدّ لسالك طريق الآخرة من الجمع بين الشريعة والحقيقة، وذلك لأن الشريعة بلا حقيقة عاطلة، وأن الحقيقة بلا شريعة باطلة.

(١) أخرجه الطبراني والبخاري وغيرهما، وذكرنا حديثه في كتابنا «سمير المؤمنين» مفصلاً واضحاً.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٨، ٨٩.

وقال الإمام مالك :

* من تَشَرَّعَ ولم يتحقق، فقد تَفَسَّقَ، وَمَنْ تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فقد تَزَنَّدَقَ، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

المثال التقريبي :

* فمثلُ الشريعةِ : كالسفينة في أنها سببٌ للوصولِ إلى المقصد، والنجاة من الهلاك.

وطريق التزكية : مثلُ البحر الذي فيه الدُرُّ والياقوتُ في أنها محلُّ المقصود :

ولا يُوصل لذلك البحر العميق إلاَّ بسفينة النجاة ألا وهي الشريعة المطهرة.

فالشريعة : شجرة، والتقوى : أغصانها، والحقيقة : ثمارها.

وقال الجنيد

الصوفي كالأرض، يُطْرَحُ عليها كلُّ قبيح، ولا يَخْرُجُ منها إلاَّ كلُّ مליح، فهو كالأرض، يطؤها البرُّ والفاجرُ، والعاصي والطائع، والمسلم الكافر.

وَنَعْتُ الْفَقِيرِ : السكونُ عندَ العدم، والبذلُّ والإيثارُ عندَ الوجودِ.

وإلى هذا أشار الإمام النووي رضي الله تعالى عنه في كتابه المقاصد قائلاً : أصول التصوف خمسة.

الْوَصِيَّةُ الثَّمِينَةُ :

حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَ عِنْدِي أَضْيَافُ كِرَامٍ.
فَقُلْتُ لَهُمْ : أَوْصُونِي بِوَصِيَّةٍ بَالِغَةٍ !!

قالوا: نُوصِيكَ بِسِتَةِ أَشْيَاءَ:

- * ١ - وَلُهَا: مَنْ كَثُرَ نَوْمُهُ، فَلَا يَطْمَعُ فِي رِقَّةِ قَلْبِهِ.
- * ٢ - زَانِيهَا: مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ، فَلَا يَطْمَعُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ.
- * ٣ - زَالِيهَا: وَمَنْ اخْتَارَ صَحْبَةً ظَالِمًا، فَلَا يَطْمَعُ فِي اسْتِقَامَةِ دِينِهِ.
- * ٤ - زَابِعُهَا: وَمَنْ كَانَ الْكَذِبُ عَادَتَهُ، فَلَا يَطْمَعُ فِي أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْإِيمَانِ.
- * ٥ - زَامِسُهَا: مَنْ كَثُرَ اخْتِلَاطُهُ بِالنَّاسِ، فَلَا يَطْمَعُ فِي حَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ.
- * ٦ - زَامِدِسُهَا: مَنْ طَلَبَ رِضَاءَ النَّاسِ، فَلَا يَطْمَعُ فِي رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

* * *

الخاتمة

في بيان الوصول إلى الله تعالى، وهو بالتوبة من جميع المحرمات والمكروهات، وطلب العلم بقدر الحاجة إليه، والملازمة على الطهارة ما أمكن، وأداء الفرائض والرواتب في أول وقتها جماعة، وملازمة ثمان ركعات الضحى^(١)، وست بين المغرب والعشاء، وصلاة الليل، والوتر، وصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام البيض، والأيام الفاضلة، وتلاوة القرآن بالحضور والتدبر، والإكثار من الاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، وملازمة أذكار السنة صباحًا ومساءً.

ومنها: «اللَّهُمَّ بِكَ نُصْبِحُ، وَبِكَ نُمْسِي، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ التُّشُورُ»، صباحًا وبعْدَ الْعَصْرِ مساءً.
* «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْكَبْرِيَاءُ لِلَّهِ، وَالْعِظَمَةُ لِلَّهِ، وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا لِلَّهِ».

(١) وقد ذكرت موجزًا عن هذه الصلاة في كتابنا «النصيحة الموجزة»، وما فيها من الفضل العظيم، والنفع العميم.

* «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ،
فَمِنْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ» ثلاثًا.

* «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ
وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» أربعًا^(١).

* «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
نَبِيًّا وَرَسُولًا» ثلاثًا.

* ﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

* ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ سبعا.

* ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

(١) ويقولها عند المساء بلفظ: اللهم إني أمسيت ولها فضل عظيم، وأجر كبير.

* مع قراءة سورة ﴿يس﴾ .

* «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»

ثلاثاً .

* ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُمْ خَشْيَةً مِّنْصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ ، والإخلاص والمعوذتين ،

ثلاثاً .

* «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ثلاثاً .

* «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ» ثلاثاً .

* «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَآتُوبُ إِلَيْهِ» ثلاثاً .

* «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» ثلاثاً .

* «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» ثلاثاً .

وَإِذَا اتَّسَعَ الْوَقْتُ فَقُلْ :
* «سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ
أَكْبَرُ» مِائَةَ مَرَّةٍ .

و «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» .
كَذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ .

* «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»
كَذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ .

* «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .
كَذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ ثَلَاثًا .

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ
وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ» ثَلَاثًا أَوْ كَذَلِكَ مِائَةَ
مَرَّةٍ . وَفِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِدَوِيِّ الْعَنَاءِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ لِلْهُدَايَةِ ،
وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، آمِينَ .

الشَّرْحُ

طَرِيقُ مَرِيدِ حَرْثِ الْآخِرَةِ :

* يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالرَّشَادِ ، أَنْ يَتَحَقَّقَ أَوَّلًا
وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ .

* وَهِيَ أَصْلُ كُلِّ مَقَامٍ ، وَأَوَّلُ كُلِّ حَالٍ .

* وهي رأسُ مالِ الفائزين، وأولُ قدمِ العابدين، ومفتاحُ رضا ربِّ العالمين.

وهي بمثابة الأرض للبناء: فَمَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ، لَا حَالَ لَهُ، وَلَا مَقَامَ،
كَمَا أَنَّ مَنْ لَا أَرْضَ لَهُ لَا بِنَاءَ لَهُ.

حَدُّ التَّوْبَةِ:

* التَّوْبَةُ هي الرجوعُ إلى الله تعالى من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة.

* فمن رجع عن المخالفات والذنوب خوفاً من الله تعالى فهو تائبٌ.

* ومن رجع عنها حياءً من الله تعالى فهو منيبٌ.

* ومن رجع عنها تعظيماً لجلال الله تعالى فهو أوابٌ.

حُكْمُهَا:

الوجوبُ بالآياتِ البينات، والأخبارِ الصحيحة.

قال الله تعالى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وقال الله تعالى:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (٢).

حَقِيقَتُهَا:

أن تكون التَّوْبَةُ نصوحاً لصاحبها وهي: أن يتوبَ ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانيةً، عازماً على عدمِ العودِ.

(١) من سورة النور: الآية ٣١.

(٢) من سورة التحريم: الآية ٨.



* ومن تاب ظاهراً فقط، وهو يبارز الله بالمعاصي فهو كمثل مَزْبَلَةٍ بُسِطَ عليها ديباجٌ وحريزٌ، والناسُ ينظرونَ إليها، ويتعجبون من حسنِها، فإذا كشف عنها الغطاءَ أعرضوا عنها بوجه عبوس، ونأوا بجانبهم بغضاً فيها، وكراهةً لها.

المَثَلُ المُرَغَّبُ :

ما رواه الشيخان مرفوعاً :

* إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْهُ.
فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي.

* ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي.

قَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ العسقلاني :

* ومعنى قوله: «فليعمل ما شاء» أنه ما دام يُذْنِبُ وَيَسْتَغْفِرُ وَيَتُوبُ، فَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ، وَتَكُونُ تَوْبَتُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ.

لا أنه يذنب الذنب ويستغفر ويتوب منه بلسانه من غير إقلاع، وندم، ثم يعود لمثله، فإن هذه توبة الكاذبين^(١).

(١) لأن فيها معنى السخرية والاستهزاء: فالمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزيء بربه.

وشروط التوبة :

- * ١ - الندمُ على الذنوب الماضية، مع التأسفِ، والحُزنِ على ما فرط منه.
- * ٢ - والعزمُ الصادقُ مع الهمةِ العاليةِ بأن لا يعودَ إليه مرةً ثانية.
- * ٣ - ورَدُّ المظالمِ والحقوقِ إلى أهلها، واستحلالِ الخصومِ.

مهمة :

- * وينبغي بعدَ التوبةِ النصوحِ، تربيةُ النفسِ في طاعةِ اللَّهِ تعالى تدريجًا، كتربيتها في معصيةِ الله تعالى، وإذاقَتُها مرارةَ الطاعةِ، كإذاقَتها حلاوةَ المعصيةِ.
- * وتركُ خُلانِ السوءِ، مع إصلاحِ المأكَلِ والمَشْرَبِ، والنظرِ فيما يدخلُ في يده مِنْ مَكْسَبٍ وَمَوْرِدٍ.
- قول الإمام الغزالي :
- قال حجة الإسلام - رحمه الله تعالى - : مَنْ ترك المبادرةَ إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين.

* ١ - أحدهما :

أن تتراكمَ الظلمةُ على قلبه من المعاصي والذنوبِ، حتَّى تصيرَ ريتًا، فلا يقبل المحو.

* ٢ - الثاني :

أن يُعاجِلَه المرضُ فيحولَ بينه وبينها، أو الموتُ فلا يجد مهلةً للاشتغال بالمحو.

ولذلك ورد:

* إِنَّ أَكْثَرَ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ، فما هلك مَنْ هَلَكَ إِلَّا بالتسويق.

وورد:

لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ:
* قطرة دَمْعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
* وقطرة دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

تنبيه:

وبهذا يُعلم أنه لا فائدة في الاستغفار، والقلب لاهِ مطموسٌ، مسوّدٌ من كثرة الذنوب والغفلة عن التوبة، فإنه لو صار يستغفر آناء الليل، وأطراف النهار مع هذه الحالة لا يفيد شياً، وربما كان سبباً للوبال والدمار، ومقت الله تعالى، والاستهزاء به.

ولذا قالت رابعة:

* استغفارنا يحتاج إلى استغفار.
* والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزيء بربه.

التَّخْلِيَةُ وَالتَّحْلِيَةُ:

* فينبغي لمريد الآخرة، بعدما تحقق بالتوبة النصوح، أن يتخلَّى من الأوصاف الذميمة، لأنها نجاساتٌ معنوية، لا يمكن التقرب إلى الله تعالى وهو متأبط لها، كما أَنَّ النجاسات الحسية تمنع الدخول في

(١) رواه الترمذي.

العبادات، وتحكم ببطلان الصلاة، إذا فلا بد من التزكية لقوله تعالى:
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١).

* فالأوصاف الذميمة:

- ١ - كالحسد.
 - ٢ - والحقد.
 - ٣ - والكبر.
 - ٤ - والعجب.
 - ٥ - والرياء.
 - ٦ - والغضب.
 - ٧ - وحبّ الجاه.
 - ٨ - وحبّ المال.
 - ٩ - والحرص على الدنيا، وغير ذلك من الأوصاف التي يُبغضها الله تعالى (٢) وتكون حجاباً بين العبد وربه.
- * وأن يتحقق بالصدق والإخلاص، فإنَّهما اللبنة الأولى، التي تُبنى عليها سائر الأعمال.

قال الله تعالى:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ (٣).

* والله - سبحانه وتعالى - وصف أنبياءه في معرض المدح والثناء عليهم حيث قال:

(١) سورة الشمس: الآيتان ٩، ١٠.

(٢) معظم هذه الأمراض في النصيحة الموجزة، وهي عبارة عن حلقات وأعداد.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

* ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) (١).

* ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤) (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام:

* عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

* أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ رَبِحَ:

١ - الصدقُ.

٢ - والحياءُ.

٣ - وحسنُ الخلقِ.

٤ - والشكرُ.

وقال بشر بن الحارث:

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالصَّدَقِ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ.

أنواع الصدق ومعانيه:

والصدقُ يُسْتَعْمَلُ فِي سِتَّةِ مَعَانٍ:

١ - صدقٌ في القولِ.

٢ - وصدقٌ في النِّيَّةِ والإرادةِ.

٣ - وصدقٌ في العزمِ.

٤ - وصدقٌ في الوفاء بالعزمِ.

(١) سورة مريم: الآية ٤١.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٤.

٥ - وصدق في العمل.

٦ - وصدق تحقيق في مقامات الدين كلها: فَمَنْ اتَّصَفَ بالصدق في جميع ذلك فهو صِدِّيقٌ، لأنه مبالغٌ في الصدق:

١ - صدق القول:

* وصدقُ اللسان: لا يكونُ إلا في الإخبار، وحقُّ على كلِّ عبدٍ، أن يحفظ ألفاظه: فلا يتكلم إلا بالصدق، فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق، وبأن يُراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يُتاجي بها ربَّه كقوله: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»، فإن قلبه إن كان منصرفاً عن الله، مشغولاً بأمالِي الدنيا وشهواتها فهو كاذب.

٢ - صدقُ النيةِ والإرادة:

* بأن لا يكون له باعثٌ في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، ويرجعُ هذا إلى الإخلاص في العمل، فإن مازجه شوبٌ من حظوظ النفس، بطل صدقُ النية، وقد أخبر الله عن موقف المنافقين مع رسول الله ﷺ حيث قال الله تعالى:

* ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وهذا صدقٌ، ولكن كذبهم الله لا من حيث نطقُ اللسان؛ بل من حيث ضميرُ القلب، فقال، الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) وصاحبه يجوز أن يُسمى كاذباً^(١).

(١) سورة المنافقين: الآية ١.

٣ _ صدق العزم:

* فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُقَدِّمُ الْعِزْمَ عَلَى الْعَمَلِ فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ، إِنْ رَزَقَنِي اللَّهُ تَعَالَى مَالًا، تَصَدَّقْتُ بِجَمِيعِهِ، أَوْ شَطْرِهِ، وَإِنْ أَعْطَانِي اللَّهُ وَلَايَةً، عَدَلْتُ فِيهَا، وَلَمْ أَعْصِ اللَّهَ تَعَالَى بِظُلْمٍ.

* فَهَذِهِ الْعَزِيمَةُ قَدْ يَصَادِفُهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَهِيَ عَزِيمَةٌ جَازِمَةٌ صَادِقَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِي عَزْمِهِ نَوْعٌ تَرَدُّدٍ وَضَعْفٍ، يُضَادُّ الصَّدَقَ فِي الْعَزِيمَةِ.

الْمِثَالُ الْكَاشِفُ لِهَذَا الْمَعْنَى:

* حُكِيَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: لَأَنْ أُقَدِّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ الْعِزْمَ الْجَازِمَ، وَالْمَحَبَّةَ الصَّادِقَةَ، وَالْإِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ، بِأَنَّهُ لَا يَتَأَمَّرُ مَعَ وَجُودِ الصَّدِيقِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْقَتْلِ الْمُؤَدِّي لِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ، فَهَذَا عِزْمٌ صَادِقٌ، لَا يَشُوبُهُ تَرَدُّدٌ وَلَا خَوَرٌ فِيهِ وَلَا ضَعْفٌ.

٤ _ الوفاء بالعزم:

* فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَسْخَرُ بِالْعِزْمِ فِي الْحَالِ، إِذْ لَا مَشَقَّةَ فِي الْوَعْدِ وَالْعِزْمِ: الْمُؤَنَّةُ فِيهِ خَفِيفَةٌ جَدًّا، فَإِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ، وَحَصَلَ التَّمَكُّنُ، وَهَاجَتِ الشَّهَوَاتُ، انْحَلَّتِ الْعَزِيمَةُ، وَطَغَتِ الشَّهْوَةُ، وَخَارَتِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَتَّفَقِ الْوَفَاءُ.

وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) (١).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

المشهد العظيم لهذا:

* روي عن أنس بن مالك: أن عمّه أنس بن النضر لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، فشقّ ذلك على قلبه وقال - أي متأسفًا - : أولُ مشهدٍ شهدته رسولُ الله ﷺ غبت عنه؟ أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ، ليرينَّ ما أصنع!

قال: فشهد أحدًا في العام القابل، فاستقبله سعدُ بنُ معاذ، فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟

فقال: واهّا لريحِ الجَنَّةِ، إني أجد ريحها دونَ أحد. فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة. فقالت أخته بنت النضر: ما عرفت أخي إلّا بشيابه. فهذا هو الوفاء بالعزم المقرون بالصدق، وهذه صورته.

هـ - الصدق في الأعمال:

* هو أن يَجْتَهِدَ حَتَّى لَا تَدُلَّ أَعْمَالُهُ الظَّاهِرَةُ عَلَى أَمْرٍ فِي بَاطِنِهِ لَا يَتَصِفُ بِهِ.

فَرُبَّ وَاقِفٍ فِي صَلَاتِهِ، وَهُوَ عَلَى هَيْئَةِ الْخُشُوعِ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ غَافِلٌ عَنِ الصَّلَاةِ، فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَرَاهُ قَائِمًا خَاشِعًا لِلَّهِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ فِي السُّوقِ قَلْبُهُ، مُتَعَلِّقٌ فِي شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ، قَدْ أَخْضَعَتْهُ، وَجَعَلَتْ أَنْفَهُ فِي الرِّغَامِ:

إِذْ مَخَالَفَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ، إِنْ كَانَتْ عَنْ قَصْدٍ سُمِّيَتْ رِيَاءً، وَهُوَ الطَّامَّةُ الْكَبِيرَى، وَيَفُوتُ بِهَا الْإِخْلَاصُ، وَإِنْ كَانَتْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَيَفُوتُ بِهَا الصِّدْقُ الْمُنْشُودُ:



ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو فيقول :
 * «اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّي خَيْرًا مِنْ عَلَانِيَتِي . وَاجْعَلْ عَلَانِيَتِي
 صَالِحَةً» .

وقال عَطِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْغَفَّارِ :
 إِذَا وافَقَتْ سِريرةُ المؤمنِ علانيته ، باهى اللهُ بهِ الملائكةُ يقولُ :
 * هَذَا عَبْدِي حَقًّا .

٦ — الصدق في مقامات الدين :

* كالصدق في الخوف من الله ، والرجاء منه ، والصدق في الزهد ،
 والرضا ، والتوكل على الله .
 مثالٌ للخائفِ الصادق :

أقول : فما من عبدٍ يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ، إلا وهو خائفٌ
 من الله تعالى ، خوفًا ينطلق عليه اسمُ الخائفِ ، ولكنه مع الأسف غيرُ
 صادقٍ في دعواه الخوف :

* أما تراه إذا خاف حاكمًا ظالمًا هددَه بالقتل ، أو خاف قاطعَ طريقٍ
 في سفره ، سيضع يده على كل ما معه ، كيف يصفِرُ وجهه ، وترتعد فرائضه ،
 ويتنغص عليه عيشه ، ويتشوش عليه طعامه ، وشرابه ، ونومه ، ويتشتت عليه
 فكره ، حتَّى لا يتفَعَّ به أهله وأولاده ، وتفِرُّ منه خِلائه وأصحابه ، لما اعتراه
 من أحوال وما علاه من خوف وهم ، كُلُّ ذلك خوفًا من درك المحذور ، وقد
 يكون موهومًا ؛ فالتحقيقُ — في هذه الأمور — : عزيزٌ جدًّا جدًّا .

ولكل عبدٍ من هذه الأمور حظٌّ بحسب حاله : إما ضعيفٌ ،
 وإما قويٌّ .

فإذا كان قويَّ الخوفِ، وصادقَ الرجاءِ سُمِّيَ صادقًا فيه، فالصادقُ إذن في هذه الأمور، وتلك المقامات، عزيز جدًا جدًا.

قال سعدُ بنُ مُعَاذٍ:

* ثلاثة أنا فيهن قويٌّ، وفيما سواهن ضعيفٌ.

* ١ - : ما صليتُ صلاةً منذ أسلمتُ فحدثتُ نفسي أي: في أمور الدنيا، حتَّى أفرغَ منها.

* ٢ - : وما شيعتُ جنازةً قطُّ، فحدثتُ نفسي بغير ما هي قائلة، وما مقول له، حتَّى يُفَرِّغَ مِنْ دَفْنِهَا.

* ٣ - : وما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول قولاً إلَّا علمتُ أنه حقٌّ.

* * *

الفهرسُ التفصِيلُ

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| □ مُقَدِّمَةُ الشَّرْحِ | ٥ |
| □ مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ | ٧ |
| □ الْمُقَصِّدُ الْأَوَّلُ: في بيان عقائد الإسلام وأصول الأحكام | ٩ |
| — أول واجب على المكلف معرفته | ٩ |
| — صفات الله تعالى | ٩ |
| — الرسل | ١٠ |
| — من أركان الإيمان | ١١ |
| — أركان الإسلام وشروطه | ١٢ |
| — حقيقة الإيمان | ١٢ |
| — أمور الدين الثلاثة | ١٣ |
| — أحكام الشرع الخمسة | ١٣ |
| — معنى الشهادتين | ١٤ |
| — أفضل الأعمال والأقوال | ١٤ |
| — أصول الدين أربعة | ١٦ |

| | |
|----|---------------------------------------|
| ١٧ | * الشرح |
| ١٧ | — تعريف الإسلام |
| ١٧ | — الإيمان (تعريف وتقسيم) |
| ١٨ | — الإحسان |
| ١٨ | — فكاهة طريقة مع الإمام الشافعي |
| ١٩ | — وجود الله تعالى والدليل عليه |
| ٢٠ | — تغاير الإسلام والإيمان واتحادهما |
| ٢١ | ● أصول الإيمان (أركانه) |
| ٢٢ | — الإيمان بالله تعالى و (صفاته) |
| ٤١ | — الإيمان بالرسول |
| ٤٤ | — الملائكة |
| ٤٤ | — الكتب المنزلة |
| ٤٥ | — السؤال في القبر |
| ٤٦ | — البعث والحشر وهول الموقف |
| ٤٧ | — أخذ الصحف، والوزن والميزان، والصراط |
| ٤٨ | — الشفاعة وأنواعها |
| ٤٩ | — الجنة والنار |
| ٥١ | — القضاء والقدر |
| ٥١ | ● الإسلام وشروط قبوله |
| ٥٢ | — الإيمان ومراتبه |
| ٥٣ | — أمور الدين وعناصره |
| ٥٤ | — الشهادتان |

| الموضوع | الصفحة |
|---------|--------|
|---------|--------|

| | |
|--------------------------------------|----|
| — الصلاة وحكمتها | ٥٤ |
| — أحكام الشرع | ٥٥ |
| — فضيلة التهليل | ٥٦ |
| — فضيلة المكتوبة | ٥٧ |
| — أفضل الأذكار | ٥٨ |
| — الصلاة على النبي ﷺ وكيفيتها وحكمها | ٦١ |
| — الواجب العيني، والكفائي | ٦٣ |
| — أصول الدين | ٦٣ |

□ المقصِدُ الثَّانِي : في أحكام الطهارة

| | |
|--|----|
| — الطهارة وبم تصح | ٦٥ |
| — النجاسة وأنواعها | ٦٥ |
| — الآنية وحكم استعمالها | ٦٦ |
| — السواك وأحكامه | ٦٦ |
| — الوضوء وأحكامه | ٦٦ |
| — المسح على الخفين وأحكامه | ٦٨ |
| — الاستنجاء وأحكامه | ٦٨ |
| — الغسل وأحكامه | ٦٩ |
| — التيمم وأحكامه | ٧٠ |
| — الحيض والنفاس وأحكامهما | ٧١ |
| — ما يحرم بالحدث والجنابة والحيض والنفاس | ٧١ |
| * الشرح | ٧٢ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| — المياه وأنواعها (تعريف وتقسيم) | ٧٢ |
| — الطهارة ومراتبها | ٧٤ |
| — النجاسة وأنواعها | ٧٥ |
| — الطهارة بالتغير وأحكامها | ٧٦ |
| — الذهب والفضة وحكم استعمالهما | ٧٨ |
| — السواك وأحكامه | ٧٩ |
| — نواقض الوضوء | ٨٠ |
| — فرائض الوضوء | ٨١ |
| — سنن الوضوء | ٨٢ |
| — المسح على الخفين وأحكامه | ٨٤ |
| — الاستنجاء وأحكامه | ٨٥ |
| — من آداب قضاء الحاجة | ٨٦ |
| — موجبات الغسل | ٨٦ |
| — فرض الغسل | ٨٧ |
| — سنن الغسل | ٨٨ |
| — التيمم وأحكامه | ٨٩ |
| — الحيض والنفاس وأحكامهما | ٩٠ |
| □ المَقْصِدُ الثَّالِثُ : في أحكام الصلاة | ٩٣ |
| — الصلوات المفروضة | ٩٣ |
| — أوقات الصلوات المفروضة | ٩٣ |
| — أوقات المنهي عنها | ٩٣ |

| الموضوع | الصفحة |
|---------------------------------------|--------|
| — الصلوات المسنونة | ٩٤ |
| — أركان الصلاة | ٩٤ |
| — أبعادها وسننها | ٩٥ |
| — شروطها ومبطلاتها | ٩٧ |
| — سجدة السهو | ٩٧ |
| — صلاة الجماعة | ٩٧ |
| — الجمع بين وقتين | ٩٨ |
| — صلاة الخوف | ٩٨ |
| — صلاة الجمعة وأحكامها | ٩٨ |
| — صلاة العيد والكسوف والاستسقاء | ٩٩ |
| — صلاة الجنازة وأحكامها | ٩٩ |
| * الشرح | ١٠٠ |
| — الصلاة (فضائلها وأحكامها) | ١٠٠ |
| — تعريف الصلاة | ١٠٠ |
| — حكمة مشروعيتها | ١٠١ |
| — أوقات المفروض منها | ١٠٢ |
| — الأوقات المكروهة فيها | ١٠٤ |
| — صلاة العيدين وأحكامها | ١٠٥ |
| — صلاة الكسوفين | ١٠٦ |
| — صلاة الاستسقاء | ١٠٦ |
| — السنن الرواتب وأوقاتها | ١٠٧ |
| — صلاة الوتر | ١٠٩ |

| الموضوع | الصفحة |
|---------|--------|
|---------|--------|

| | |
|-----------------------------------|-----|
| — صلاة الضحى | ١١١ |
| — صلاة التراويح وقيام الليل | ١١١ |
| — الأذان والإقامة | ١١٣ |
| — خلاصة في الصلاة وأحكامها | ١١٤ |
| — سجود السهو وأسبابه | ١١٨ |
| — صلاة الجماعة وحكمتها | ١١٩ |
| — القصر والجمع في الصلاة | ١٢٠ |
| — صلاة الخوف | ١٢٢ |
| — صلاة الجمعة | ١٢٣ |
| — الجنائز وأحكامها | ١٢٦ |
| — موقف المؤمن بعد موته | ١٣٠ |

□ المقصود الرابع: في الزكاة

| | |
|-------------------------------------|-----|
| — على من تجب الزكاة وفيم تجب؟ | ١٣٣ |
| — شرط وجوبها ونصابها | ١٣٣ |
| — زكاة الفطر | ١٣٥ |
| — لمن تجب الزكاة؟ | ١٣٥ |

* الشرح

| | |
|--|-----|
| — تعريف الزكاة وحكمها | ١٣٦ |
| — فيم تجب الزكاة؟ (الأصناف التي تجب فيها الزكاة) | ١٣٨ |
| — شروط وجوبها | ١٤٠ |

□ المقصِدُ الخَامِسُ : في الصَّوم ١٤١

- على من يجب الصوم ١٤١
- شروط صحته، وسننه ١٤١
- متى يحرم ١٤١
- حكم المفطر في رمضان ١٤١
- الاعتكاف فيه ١٤٢

* الشَّرْح ١٤٢

- حكم الصوم ودليله ١٤٢
- حكم الصوم للمسافر ١٤٣
- مسألة في جواز الإفطار ١٤٤
- مهمة في حكم الصوم للمريض ١٤٤
- حكم أصحاب الأعمال الشاقة ١٤٤
- شروط الصوم ١٤٤
- أركان الصوم ١٤٥
- فرع في الصوم ١٤٥

□ المقصِدُ السَّادِسُ : في الحَجِّ ١٤٧

- على من يجب الحج ١٤٧
- أركانه وواجباته وسننه ١٤٧
- ما يجب إذا ترك واجبًا ١٤٨
- ما يحرم بالإحرام ١٤٨

| الموضوع | الصفحة |
|---------|--------|
|---------|--------|

| | |
|--|-----|
| — مبطلات الحج | ١٤٨ |
| — ما يحرم بالإحرام والحرم | ١٤٩ |
| * الشرح | ١٤٩ |
| — حكم الحج والعمرة | ١٤٩ |
| — تعريف الحج والعمرة وحكمته | ١٥٠ |
| — المناسك وكيفيتها | ١٥٠ |
| — شروط الحج | ١٥٢ |
| — أركانه | ١٥٣ |
| — أركان العمرة | ١٥٥ |
| — واجبات الحج | ١٥٦ |
| — محظوراته | ١٦٣ |
| □ المَقْصِدُ السَّابِعُ : في أصول طريق التزكية | ١٦٥ |
| — طريق التزكية خمسة | ١٦٥ |
| — أصولها | ١٦٦ |
| — أصول العلامات | ١٦٦ |
| — آفات أصول العلامات | ١٦٧ |
| — أصول المداواة | ١٦٧ |
| * الشرح | ١٦٧ |
| — التصوف | ١٦٧ |
| — قول الإمام الطيبي في ذلك | ١٦٨ |
| — موقف الإمام الشافعي وابن حنبل | ١٦٨ |

- | | |
|---|-----|
| - حد التصوف وتعريفه | ١٦٩ |
| - حديث حارثة | ١٦٩ |
| - المثلالتقريبى للشريعة وطريق التزكية | ١٧١ |
| - قول الجنيد فى ذلك | ١٧١ |
| - الوصية الثمينة | ١٧١ |

□ الخاتمة ١٧٣

- | | |
|--|-----|
| - بيان كيفية الوصول إلى الله تعالى | ١٧٣ |
| - من أذكار السنة صباحًا ومساءً | ١٧٣ |

* الشرح ١٧٦

- | | |
|---|-----|
| - طريق مرید حرث الآخرة | ١٧٦ |
| - التوبة (حَدَّها وحكمتها وحقيقتها) | ١٧٧ |
| - المثل المرغب بالتوبة | ١٧٨ |
| - شروط التوبة | ١٧٩ |
| - التخلية والتحلية | ١٨٠ |
| - أوصاف ذميمة يجب التخلي عنها | ١٨١ |
| - أوصاف حميدة يجب التحلى بها | ١٨١ |
| - أنواع الصدق ومعانيه | ١٨٢ |

* * *

الفهرسُ الإجماليُّ

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| □ المقدمة | ٥ |
| □ المقصِدُ الأوَّلُ : في بيان عقائد الإسلام وأصول الأحكام | ٩ |
| * الشَّرح | ١٧ |
| □ المقصِدُ الثَّانِي : في أحكام الطهارة | ٦٥ |
| * الشَّرح | ٧٢ |
| □ المقصِدُ الثَّالِثُ : في أحكام الصَّلَاة | ٩٣ |
| * الشَّرح | ١٠٠ |
| □ المقصِدُ الرَّابِعُ : في الزَّكَاة | ١٣٣ |
| * الشَّرح | ١٣٦ |
| □ المقصِدُ الْخَامِسُ : في الصَّوْم | ١٤١ |
| * الشَّرح | ١٤٢ |
| □ المقصِدُ السَّادِسُ : في الْحَجِّ | ١٤٧ |
| * الشَّرح | ١٤٩ |

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| □ المقصِدُ السَّابِعُ : في أصول طريق التزكية | ١٦٥ |
| * الشَّرح | ١٦٧ |
| □ الخاتمة | ١٧٣ |
| * الشَّرح | ١٧٦ |
| □ الفهرسُ | ١٨٩ |

• • •



شرح المقاصد النبوية

للإمام يحيى بن شرف النووي

شرحها محمد راجح

دار البشائر الإسلامية